

# الوعي الإسلامي

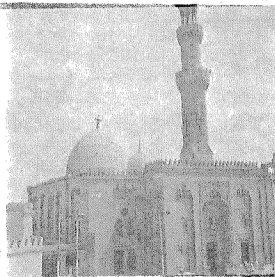
إسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة - العدد ٨٠ - شعبان سنة ١٢٩١ هـ - ٢١ سبتمبر (أيلول) - ١٩٧١ م





قام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بزيارة المسجد الأموي بدمشق ، وقد رافقه في هذه الزيارة رئيس بعثة الشرف ونائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية في الجمهورية العربية السورية عبد الحليم خدام . ويبدو في الصورة الشيخ عبد الله الجابسر المستقل الخاص لسمو الأمير المعظم وبعض المرافقين .



مسجد الامام الشافعي بالقاهرة .  
انشاء الملك الكامل المظفر سنة ٦٠٨ هـ  
وجدد سنة ١٢٠٩ هـ ، وتبدو في  
الصورة قبته الضخمة ومنازلته  
الشاهقة ، وهي مبنية على الطراز  
الملوكي .

## الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

المعدد الثمانون

شعبان سنة ١٣٩١ هـ

٢١ سبتمبر « أيلول » ١٩٧١ م

نصرتها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت في فترة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وابقاظ  
الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية  
والسياسية

## الفنن

الكويت	٥٠	نظما
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	نظما
الأردن	٥٠	نظما
ليبيا	١٠	قروشي
تونس	١٢٥	ملهما
الجزائر	دينسار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربي	١	روبية
البحرين وعدن	٧٥	نظما
لبنان وسوريا	٥٠	نظما
مصر والسودان	٤٠	ملهما

الاشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار  
في الخارج ٢ ديناران  
( او ما يعادلها بالاسترلين )  
اما الافراد فيشتركون راسا  
مع مضمحل التوزيع كل في قطره  
عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد  
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية  
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ - كويت

# بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

## إزالة آثار العدوان

العدوان الذي نعرض له في هذا الحديث ، وننبه إلى آثاره ونطالب بحشد القوى المتخصصة لازالته — عدوان إسرائيل قديم ، لا يقل خطرا عن العدوان الإسرائيلي المعاصر الذي تستغفر له الآن جميع القوى العربية والإسلامية .

وإذا كان اختيار الوقت المناسب للقيام بعمل من الأعمال شرطا أساسيا في انجازه فأننا نرى أن هذا الوقت الذي يبلغ فيه شعور المسلم ، — كل مسلم — بمرارة الحقد اليهودي عليه منتهاه هو أنسب الأوقات وأكثرها ملاءمة لاستثارة الجهود الإسلامية لازالة آثار العدوان الذي تلفت النظر اليه في هذه السطور .

كان اليهود أعلم أهل الكتاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أولى الناس بأن يؤمنوا به لأنه جاء مصدقا لما معهم من التوراة ، وموافقا لكل ما يعرفونه من صفاته التي وردت فيها ، وفي الوقت نفسه كانت توحى اليهم اثرتهم وإنانيتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار في الأرض ، وأن الأنبياء والرسل لا يكونون الا منهم ، فلما أرسل الله محمدا عربيا لا يهوديا غلبت عليهم طبيعة الحقد عليه والعداوة لدينه ، وملا نفوسهم الحسد والغيرة ، فجعلوا يشككون الناس في نبوته ، وطوعوا توراتهم لأهوائهم وشهواتهم ، فحرفوا كل ما جاء فيها عنه ، وغيروا كل ما يشير منها اليه أو يدل عليه ، واتخذوا كل وسيلة دينية وكل حيلة خبيثة حتى لا يظهر دين غير دينهم .

وكان من اخزاء الله لهم أنه سبحانه فضح أسرارهم ، وأظهر زيفهم على يد بعض أخبارهم الذين شرح الله صدرهم للإسلام ، فدخلوا فيه مخلصين .

وعداوة اليهود للإسلام ، وكراهيتهم للمسلمين ، ومحاولاتهم لصد الناس عن دين الله ، ومؤامراتهم للتشكيك فيه وزعزعة الثقة والإيمان في قلوب المؤمنين ظاهرة واضحة منذ فجر الإسلام ، وكان جديرا بالمسلمين على ممر العصور أن يضعوها نصب أعينهم ، وأن يكون تعاملهم مع بني إسرائيل ، وتلقيهم لما ينقل عنهم بمنتهى الحذر والحيطه ، وخاصة بعد أن



تنزلت الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم تنبه الى أساليبهم الخفية فى الكيد للإسلام والمسلمين « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون » « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم انه الحق » « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على السذجين آمنوا ووجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » والمراد بأهل الكتاب فى الآيات اليهود ، والمراد بالطائفة جماعة منهم تصدثوا فيما بينهم ، وقالوا : أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار ، واكفروا آخره فانه أجدر أن يرجعوا عن دينهم . الى هذا المدى بلغت حملة التشكيك التى خطط لها اليهود لصد الناس عن الاسلام .

ان اليهود أجرا الناس على وحي الله ، وأقدرهم على تحريف كتبه بما يتفق مع طبيعتهم النكدة ، ولم يكن هذا مستورا عن المؤمنين حتى يعذبوا فى تصديقهم ، والأخذ عنهم ، ونقل مفترياتهم . . لقد بلغ من أمرهم فى الجراة على الوحي أنهم حاولوا أن يفتنوا الرسول نفسه ، وأن يؤثروا عليه ، ويجروه الى التحايل على تعاليم الله ، فقد روى أن زعماء اليهود قالسوا لبعضهم : اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فأنها هو بشر ، فاتوه ، فقالوا له : يا محمد انك قد عرفت أنا احبار يهود ، واشرافهم وسادتهم ، وأنا ان اتبعناك اتبعناك اليهود ، ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، فنحاكمهم اليك ، فتنقضى لنا عليهم ، فأنزل الله عز وجل : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » .

هذه الصورة الحقيقية الواضحة لليهود . لعداوتهم للاسلام ، وتآمرهم عليه ، ومهارتهم فى الدس والتحريف — لم تمنع بعض المسلمين السابقين من النقل عنهم والأخذ منهم عند تفسير كتاب الله ، فامتلات كتب التفسير التى ألفوها بالغث والسمين والحق والباطل ، والصحيح والمزيف . امتلات بالاسرائيليات ، عن هذا الطريق استطاع اليهود أن يحققوا نواياهم السيئة فى تشويه الفكر الاسلامى وتضليل العامة .

وهذه نقول ونهاذج من الخرافات والقصص الاسرائيلية الذى شغف به نفر من المفسرين ، فغضنوها تفاسيرهم ، وهى آثار فكرية مضللة وفدت على الثقافة الاسلامية ، وخدع بها عامة المسلمين ، واستغلها خصوم الاسلام من المستشرقين .

أ — قال مقاتل بن سليمان عند تفسير قوله تعالى : « وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها : أما مكة فتغربها الحبشة ، وتهلك المدينة بالجوع ، والبصرة بالفرق ، والكوفة بالترك ، والجبال بالصواعق والرواجف . وأما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكر بلدا بلدا .

وروى عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب

أرمينية ، وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ، ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ، ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة ، فإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بنى هاشم ، وخراب الأندلس من قبل الزنج ، وخراب إفريقية من قبل الأندلس ، وخراب مصر من انقطاع النيل ، وخراب العراق من الجوع ، وخراب الكوفة من قبل عدو يحصرهم ويمنعهم من الشراب من الفرات ، وخراب البصرة من قبل الفرق ، وخراب الأبله عدو يحصرهم برا وبحرا ، وخراب الرى من المديلم ، وخراب خراسان من قبل التبت ، وخراب التبت من قبل الصين ، وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع .

٢ - والامام النسفى مع فضله وعلمه وتحقيقه لم يسلم تفسيره من هذه الاسرائيليات ، فهو فى تفسير قوله تعالى : « وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير » يقول : روى انه صاحبت فاخته فأخبر انها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : يقول كما تدين تدان ، وصاح هدهد فقال : يقول استغفروا الله يا مذبنون ، وصاح خطاف فقال : يقول قدموا خيرا تجدوه ، وصاحت رخمة ، فقال : تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه ، وصاح قمرى فأخبر انه يقول سبحان ربى الأعلى .. وأخذ يعدد الحيوانات والطيور ويترجم أصواتها .

٣ - وقد تجاوزت الاسرائيليات هذه الترهات والسخافات الى التناول على مقامات النبوات وانك لتجد هذا التناول الفاضح مسطورا فى كثير من الكتب عند تفسير قوله تعالى : « وهل اناك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط » وعند قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم انااب » .

ومع ان كثيرا من ائمة الفكر الاسلامى فى العصور السابقة تنبهوا الى هذه الاسرائيليات فان احدا من المسلمين لم ينهض لتطهير الكتب منها وازالة آثار هذا العدوان الاسرائيلى عليها .

يتحدث العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كيفية تسرب هذه الاسرائيليات الى المسلمين ، واسباب - استكثارهم منها فيقول عند الكلام على التفسير بالمأثور : وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمردود، والسبب فى ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والامية ، واذا تشوقوا الى معرفة شىء مما تشوق اليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود فانها يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حبير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا أبقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام

الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثن والملاحم وأمثال ذلك . . فامتلات كتب التفسير من المنقولات عنهم ، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب العمل بها ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها كما قلنا من أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك . الا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ .

ان تصحيح كتب التفسير وتنقيتها مما أصابها من الاسرائيليات المخرفة واجب تجب المسارعة الى النهوض به ولا أدري كيف تورط الأولون في هذا النقل ، ولا كيف سكنت الآخرون عنه الى هذا اليوم مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى المسلمين أن يأخذوا شيئا عن أهل الكتاب لا يتفق مع اصول دين الله وأحكامه وآدابه فقد روى أحمد عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ، فغضب وقال : أمهكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده : لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني ، وفي رواية : لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسالوا أهل الكتاب عن شيء ، فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، ويباطل فمصدقوا به .

وروى البخارى عن ابن عباس أنه قال : كيف تسالون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابتكم الذي أنزل على رسول الله أحدث الكتب تقرأونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله ، وغيروا ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل اليكم .

والعدوان الذي ننبه اليه في هذا الحديث هو عدوان اليهود على الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية . . هو المفتريات التي دسها اليهود على بعض المفسرين لكتاب الله . هو الاسرائيليات التي حفلت بها هذه الكتب كلون كلب أهل الكهف ، والبعض الذي ضرب به القتل من البقرة ووصف سفينة نوح واسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونوع الشجرة التي اكل منها آدم وزوجه ، والحيوان الذي تقمصه الشيطان فدخل الجنة ووسوس لهم بها وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم . الخ .

وازالة آثار هذا العدوان تكون بتوفر جماعة من أهل العلم على هذه الكتب وتصفيتها مما علق بها .

ان واجب المسلمين الى تصحيح هذا التراث لا يقل أهمية عن احياء التراث ، وازالة آثار هذا العدوان لا تكلف المسلمين دما ولا سلاحا وانسا تكلفهم جهدا وصبرا .

**مدير ادارة الدعوة والإرشاد**

**رضوان البيبي**

# حدود التشريع في الإسلام

## ومكانة الاجتهاد فيه

### لـ عالم إسلامي كبير

ما هي حدود التشريع في الإسلام وما هي مكانة الاجتهاد فيه ؟ اذا اردنا معرفة ذلك ، فلا بد ان نكون ، قبل كل شيء ، على ذكر بين من امرين :

**أولهما :** أن الحاكمية في الإسلام مختصة بالله وحده ، لا يشاركه ولا ينازعه فيها غيره ، ذلك بأن التوحيد ، كما فسر القرآن يستلزم أن يكون الله وحده هو المعبود بالمعنى الديني المعروف ، ليس ذلك فحسب ، بل يستلزم أن يكون الله وحده هو الحاكم المطاع ، والأمر والنهي ، والشارع بالمعنى السياسي والقانوني أيضا ، وهذه الحاكمية القانونية قد أبدا القرآن وأعاد في بيانها بمثل القوة والجزم الذي يبين به عقيدة الألوهية الدينية ، وأكد كل التأكيد أن كلا من هاتين المزلتين من مقتضيات اللازمة للألوهية الله تعالى لا يجوز فصلها عن الأخرى بحال من الأحوال وقرر بما لا مجال فيه للارتياح والشك أن انكارها انكار للألوهية الله ، ثم ان القرآن لم يترك أي منزع لشبهة أن يراد بالقانون الإلهي قانون الطبيعة والقطرة ، وجعل من واجب الإنسان ، اذ يدعو الى التوحيد ، أن يعترف في حياته الخلقية والاجتماعية بذلك القانون الذي أنزله الله على أنبيائه ورسله ، بل ان الإيمان بهذا القانون ، ويتجرد الإنسان عن استقلال نفسه وحرية ذاته ازاءه هو الذي يسميه القرآن بالإسلام ويأبى — بأوضح ما يكون من البيان — ان يكون للإنسان حق في

أن يقضى برأيه شأننا من شؤون حياته إذا كان قد قضاه الله ورسوله ( وما كان  
لؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن  
يمض الله ورسوله فقد ضلّ ضلّلا مبينا ) .

**وثانيهما :** وهو لا يقل في أهميته في الإسلام عن توحيد الإله — هو أن  
محمد صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله وخاتم أنبيائه ، وهذا ما تخرج به  
عقيدة توحيد الإله من حيز الفكرة المجردة فتبرز بشكل نظام عملي ويقوم على  
أساسها بناء نظام الإسلام الشامل للحياة الإنسانية ، ذلك بأنه قد اجتمعت بموجب  
عقيدة الإسلام تعاليم جميع الأنبياء السابقين مع زيادة تعاليم مهمة أخرى في تعليم  
محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو وحده المصدر الموثوق به لهدى الله وتشريعه ،  
ولن يأتي من الله بعده هدى أو تشريع يحتاج الإنسان أن يرجع إليه ، وتعليم محمد  
صلى الله عليه وسلم هو القانون الأعلى الذي يمثل للناس مرضاة الحاكم الأعلى ،  
وقد وصل إلينا على صورتين :

**القرآن :** وهو كلام الله لفظا ومعنى ويشتمل على أحكامه وأوامره ونواهيه .  
**والسنة :** أو الأسوة الحسنة لمحمد صلى الله عليه وسلم « وهي التي  
تبين غاية القرآن وتشرح مقصد نزوله » .

ما كان محمد صلى الله عليه ببلغا لكتاب الله فحسب ، بل كان من وظيفته  
مع ذلك أن يكون أماما للناس وقائدا وحاكما ومعلما ومرشدا ، يشرح لهم القانون  
الإلهي بقوله وعمله ، ويخبرهم بغاياته الحقيقية ويرببهم على مطالبه ومقتضياته ،  
ويعمل على تشكيلهم في صورة جماعة منظمة ، ويرى العالم كله ، في قالب دولة  
راشدة مرشدة ، كيف يقوم على مبادئ الإسلام نظام حضارة متكاملة راقية ،  
وأن هذه المهمة التي اضطلع بها الرسول صلى الله عليه وسلم طوال حياته  
النبوية ( ٢٣ سنة متوالية ) هي السنة التي باشتراكها واجتماعها مع القرآن  
يكتمل القانون الأعلى من الحاكم الأعلى لرعيته في الأرض ، وأن هذا القانون  
الأعلى هو المعروف ( بالشريعة ) في المصطلح الإسلامي .

### حدود التشريع :

وقد يظن الإنسان لأول سماعه بهذه الحقائق الأساسية أن الدولة الإسلامية  
لا مجال فيها أصلا لتشريع الإنسان ، إذ أن الله هو الشارع الوحيد فيها ، ولا  
وظيفة فيها للمسلمين سوى أن يتبعوا ما جاءهم به الرسول من قانونه ، بيد أن  
الحقيقة ، أن الإسلام لا ينافي تشريع الإنسان وإنما يحيطه بسياس من القانون  
الإلهي ويحدده بعلومه ، أما ما هي دائرة تشريعه تحت القانون الإلهي الأعلى وفسي  
ضمن حدوده ، فهذا ما أريد بيانه في هذه الكلمة متوخيا الإيجاز والاختصار .

### تفسير الأحكام :

منها ما قد جاء فيه القرآن والسنة بحكم قاطع واضح ، أو وضعاً له قاعدة  
خاصة فليس لفتيه ولا لقاض ولا لحلس تشريعي أن يغير في مثل هذه المعاملات  
والشؤون أحكام الشريعة وقواعدها ، وليس معنى ذلك أنه لا مجال مع هذه

الاحكام لتشريع الانسان ، بل ان دائرة تشريع الانسان فيها ان يعرف أولا بكل دقة ما هي احكام الشريعة فى واقع الامر ويحدد ثانيا مفهوم تلك الاحكام ، ويتبين لاي الحالات والوقائع هي ، وتقرر أخيرا صور تطبيقها على القضايا الطارئة الحاضرة وتفاصيلها الفرعية ان كان فيها المجال ، والذي يجب ان يشخص مع كل ذلك ، هو : اين والى اى حد يجوز للانسان التشريع للاحداث والوقائع الاستثنائية على ان لا يصطدم مع احكام الشريعة وقواعدها .

## القياس :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم ، ولكن لها احكام فى امثاله واشباهه فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بان تعرف علل الاحكام بدقة تامة وتنفذ فى كل شأن توجد فيه تلك العلل ويستنتى منها كل شأن لا توجد فيه تلك العلل .

## الاستنباط :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم صريح ، ولكن جاءت فيه وفى امثاله بقواعد جابغة أو اظهرت مرضاة الشارع عنه ، فيجب العمل على تنميته وترقيته وما هو مبغض عنده يجب العمل على محوه واستئصاله ، فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بان يعرف ما جاء فيها من قواعد الشريعة ورضاة الشارع ، ويوضع فى القضايا العملية الحاضرة من القوانين ما يقوم على هذه القواعد ويحقق مرضاة الشارع .

## دائرة التشريع بحرية الراى :

ومنها ما سكنت الشريعة فى بابها سكوتا تاما ، فلا جاءت فيه بحكم صريح ، ولا بهداية فى امثاله واشباهه حتى يقاس عليها ، فلا معنى لسكوت الشريعة فى مثل هذه الشؤون الا ان الحاكم الاعلى بنفسه قد اجاز الانسان ان يقضيها براهيه ، فالتشريع جائز فيها للانسان بكل حرية على ان يكون موافقا لروح الاسلام وقواعده العامة ، والا تختلف طبيعته عن طبيعة الاسلام الشاملة حتى يلتزم احسن التزام مع نظام الاسلام للحياة .

## الاجتهاد :

وكل هذا العمل التشريعى الذى يحرك نظام الاسلام للعانون ويرقيه حتى يلبي حاجات البشر ويجارى تطورات الزمان ، لا يمكن ان يتم الا بتحقيق علمى وخاص وبذل للقوة الذهنية على صفة غير عادية ، وهو المعروف بالاجتهاد فى المصطلح الاسلامى .

والاجتهاد معناه لغة : بذل الجهد واستنفاده ، والمراد به اصطلاحا بذل الجهد واستنفاده فى استجلاء حكم الاسلام او مقصوده فى القضية تحت

البحث . وقد يخطئ بعض الناس ويفسرون الاجتهاد بمعنى التمتع بحرية الرأي دون ما قيد أو شرط ، على أن كل من له أدنى الملم بطبيعة القانون الاسلامى ومزاياه لا يكاد يذهب به سوء الفهم الى أن فيه مجالا لهذا النوع من الاجتهاد لأن القانون الحقيقى فى الاسلام هو القرآن والسنة ، ولا يجوز التشريع فيه للمسلمين الا بشرط أن يكون مأخوذا من هذا القانون الحقيقى أو فى ضمن الحدود التى يبيح لهم أن يتمتعوا فيها بحرية رأيهم ، فكل اجتهاد لا يستند الى أحكام الشارع الحقيقية ولا يتقيد بحدودها ليس من الاجتهاد الاسلامى فى شيء ولا مكانة له فى نظام الاسلام القانونى .

### الاصاف اللازمة للمجتهدين :

ولأن الاجتهاد ليس المقصود به احداث الثلم فى القانون الالهى ليستبدل به القانون الانسانى ، وانما المقصود به فهم القانون الالهى فهما دقيقا وجعل نظام الاسلام القانونى ملبيا لحاجات البشر مجاريا لتطور الزمان تحت هدايته وارشاده فلا يصح أى اجتهاد الا بأن يكون المتولون لمهمته على جانب عظيم من الصفات الآتية :

(١) الايمان بالشريعة الالهية ، والايقان بكونها الحق ، والعزيمة الخالصة لاتباعها ، وخلو الذهن والفكر من الرغبة فى التحلل من حدودها وقيدوها وعدم أخذ الغايات والمبادئ من مصدر غير مصدرها .

(٢) الامام الجيد باللغة العربية وقواعدها وأساليب ادبها ، لأن اللغة العربية هى التى بها نزل القرآن ولا يتسنى معرفة السنة الا بها .

(٣) التضلع بعلم القرآن والسنة حتى لا يعرف به الانسان أحكام الشريعة الفرعية ومواضعها فحسب ، بل يفهم أيضا قواعدها الكلية وغاياتها معرفة جيدة : يجب أن يعرف المجتهد ما هى خطة الشريعة لاصلاح الحياة الانسانية بأجمعها ، ويعرف الى جانب ذلك ما هى مكانة كل شعبة من شعب الحياة فى هذه الخطة الجامعة الشاملة ، وما هى الخطوط التى تريد الشريعة أن تؤسس عليها مختلف شعب الحياة وما هى المصالح التى ترمى اليها فى تأسيسها أو بكلمة موجزة : أن الاجتهاد شئ يتطلب من الانسان علما بالقرآن والسنة يوصله الى مفسر الشريعة وجوهرها .

(٤) الوقوف على تراثنا القانونى الذى ورثناه عن فقهاء السلف ، والحاجة اليه ليست للتدرب على الاجتهاد فحسب ، بل هى كذلك لاستمرار الارتقاء القانونى لأنه ليس — ولا يسوغ أن يكون — المقصود بالاجتهاد أن يهدم كل جيل جديد ما بناه سالفه أو يحكم عليه بالبلى ويشرع فى بنائه من جديد .

(٥) التخلق بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ، لأنه لا يمكن بدونه أن يطمئن عامة الناس الى اجتهاد المجتهدين ولا أن تنشأ فى قلوبهم عاطفة الاحترام للقانون اذا كان قد قام بوضعه الافراد غير الصالحين ..

ليس المطلوب ببيان هذه الاوصاف أن على كل مجتهد أن يثبت بدلائل على



كونه متصفا بها ، بل المطلوب ببيانها انه لا يمكن بالاجتهاد انعاش القانسون الاسلامى وترقيته على الخطوط الصحيحة ، الا بان يكون نظامنا لتعليم القانسون صالحا لاعداد رجال من ذوى العلم متصفين بهذه الاوصاف والاخلاص المذكورة ، وكل تشريع بدون ذلك لا يمكن أن يتفق مع نظام الاسلام القانونى ولا أن يستسيغه مجتمع المسلمين .

### **الطريق الصحيح للاجتهاد :**

وكما أن قبول الأمة شيئا من الاجتهاد والتشريع يتوقف على أن يكون المجتهدون صالحين للاجتهاد ، فكذلك هو يتوقف على أن يكون اجتهادهم بطريق صحيح يطمان اليه ، فالشريطة الاولى للاجتهاد الصحيح — سواء أكان تفسيراً لحكم أو قياساً عليه أو استنباطاً منه — أن يكون مبنياً على دلائل من القرآن والسنة ، وأما إذا كان التشريع فى دائرة المباحات فعلى المجتهد أن يأتى بالدلائل على أنه لا القرآن ولا السنة قرراً حكماً أو قاعدة فى القضية ، ولا جاء فى أحدهما أساس للقياس فيها ، ويجب أن يكون الاستدلال بنصوص القرآن والسنة قائماً على قاعدة من القواعد المسلم بها بين أهل العلم ، فإذا أراد المجتهد أن يستدل بالقرآن ، فعليه أن لا يفسر كل آية الا بما تسمح به اللغة العربية وقواعدها وأساليبها المعروفة ، ويتفق مع سياق عبارة القرآن ، ولا يصطدم مع بيانات القرآن عن الموضوع نفسه فى مواضع أخرى ، وتؤيده شروح السنة القولية والفعلية أولاً تعارضه على الاقل ، وإذا أراد أن يستدل بالسنة الفعلية — مع رعاية اللغة وقواعدها وسياق العبارة — أن لا يستدل فى مسألة ما الا بروايات صالحة لقيام الحجة بها حسب أصول علم الرواية ، ولا يغفل ما فى تلك المسألة الخاصة من الروايات القوية الأخرى ولا يستنتج من رواية ما يخالف الكتاب والسنة الثابتة بالطرق القوية الأخرى ، وكل اجتهاد لا تراعى فيه هذه الأمور ولا يقوم الا على أساس اهواء النفوس ورغباتها وأمانيتها ، فإنه لو جعل جزءاً من القانون بالقوة السياسية ، لن يقبله ضمير المسلمين الاجتماعى ، ولن يكون جزءاً من نظام الاسلام القانونى ، انه يبقى جزء من القانون ما دامت القوة السياسية التى تنفذه أخذة بزمام نظام الحكومة ثم لا يكون محله مع زوالها الا الى سسلة الأوراق المهملة .

### **كيف ينال الاجتهاد درجة القانون :**

ونظام الاسلام للقانون فيه عدة صور لنيل اجتهاد فسر أو طائفة درجة القانون فمنها أن يعتمد عليه اجماع أهل العلم من الأمة ، ومنها أن يتلقاه الجمهور بالقبول كما قد تلقوا الفقه الحنفى والمالكي والشافعى والحنبلية فى غير واحد من البلاد الاسلامية ، ومنها أن تتبناه حكومة من حكومات المسلمين وتجعله قانوناً لنفسها ، ومنها أن يكون فى الدولة مجلس للتشريع حسب الدستور فيمنع القانون باجتهاده ، أما اجتهاد مختلف أهل العلم علاوة على هذه الصور ، فهو بمثابة الفتوى لا أكثر ، وأما اقضية القضاة فى المحاكم فهى — على نفاذها فى ما يرفع اليهم من دعاوى وكونها بمثابة النظائر والاشباه — لا تكون قانوناً بالمعنى

الصحيح ، حتى أن اقضية الخلفاء الراشدين لم تنل درجة القانون في الاسلام من صدرت عنهم بصفتهم قضاة في المحكمة .

انى سأحاول في ختام هذا البحث ان اجيب — بأقصى ما يمكن من الاجاز — على ما يمكن أن يثار حوله من اعتراضات : فالاعتراض الاول هو على المكانة التي بينتها للسنة مع القرآن في التشريع الاسلامي ، فأريد — جوابا على هذا الاعتراض — ان اقدم اليكم امورا ، حتى تتضح لكم القضية وذلك بالترتيب الآتي :

اولا — ان من الحقائق التاريخية الثابتة ، التي لا تقبل الإنكار والجحود ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان قد اكتفى — بعد ان أكرمه الله تعالى برسالته — بتبليغ الناس القرآن بتلاوته عليهم ، بل كان مع ذلك ، قد قام بحركة شاملة ، ظهر كنتيجة لها ، مجتمع اسلامي خالص ونظام جديد للمدينة والحضارة وقامت دولة واسعة في بلاد العرب ، فالسؤال الذي ينشأ في هذا الصدد ، ان جميع هذه الاعمال التي قام بها الرسول ، عليه الصلاة والتسليم علاوة على تبليغ القرآن بتلاوته على الناس ، بأى صفة وعلى أى اعتبار كان قد قام بها ؟ هل كان قيامه بها من حيث كان رسولا من الله ، ممثلا لمرضاته ، مثل تمثيل القرآن اياها ، أم انما كانت رسالته تنتهي بمجرد تلاوته ما ينزل عليه من القرآن حتى لم يكن بعدها إلا رجلا عاديا من عامة المسلمين ، حيث لا حجة بقوله ولا عبرة بفعله في حد ذاته ، من الوجهة القانونية ؟ فاذا سلمنا بالصورة الاولى ، فلا بد لنا ان نسلم بالسنة حجة قانونية مع القرآن ، وأما في الصورة الثانية ، فلا مبرر البتة ، لجعلها من القانون .

ثانيا — أما القرآن ، فيبين لنا بيانا واضحا شافيا لا لبس فيه ولا ابهام ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان مبلغا لما ينزل عليه من القرآن فحسب ، بل كان — مع ذلك — اماما للناس وحاكما ومعلما يجب على المسلمين أن يتبعوه ويطيعوه على المنشط والمكروه ويعتبروا حياته أسوة لأنفسهم .

وأما العقل ، فيأبى كل الإباء ان يعترف بقول من يقول أن الرسول انما هو رسول لحد تبليغه للناس كلام ربهم ، وما هو بعد ذلك إلا رجل مثل سائر الرجال ، أما المسلمون منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا ، فما زالوا ولا يزالون مجمعين على الاعتقاد بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة واجبة الاتباع ، وان كل أمر من أوامره ونهى من نواهيه يجب الوقوف عنده ، ان هذه هي العقيدة التي ما زال ولا يزال عليها المسلمون ، ولا يسع مسلما أن يجحد بأن هذه هي مكانة الرسول التي آمن بها المسلمون في كل مكان وفي كل زمان ، وانهم لأجل هذا ما زالوا يسلمون بسنته مصدرا أساسيا لقانونهم مع القرآن ، وليت تسعري كيف يجوز لرجل في هذا الزمان ، أن يتحدى هذه المكانة للسنة ما دام لا يعلن اعلانا واضحا سافرا أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما كان نبيا الى حد تبليغه القرآن ، حيث كانت نبوته تنتهي بمجرد فراقه من تلاوته على الناس ثم أن هذا الرجل — اذا كان يدعى ذلك — عليه ان يبين ان كان يعطى الرسول هذه المكانة من عند نفسه أو أن القرآن هو الذى قد أعطى الرسول هذه المكانة ؟ أما في

الصورة الاولى فلا علاقة له بالاسلام أبدا وأما فى الصورة الأخرى ، فعليه أن يستدل بنص من نصوص القرآن .

ثالثا - والسؤال الذى ينشأ بعد تسليمنا بالسنة مصدرا أساسيا للقانون فى حد ذاتها وهو : ما هى الوسيلة لمعرفة السنة ؟ فأقول جوابا على هذا أن ليس لأول مرة قد واجهنا السؤال بأن السنة ، التى تركتها فى الدنيا تلك الرسالة التى كانت قد ظهرت فى بلاد العرب قبل ألف وخمسمائة سنة ، ماذا كانت هى ؟ فهناك حقيقتان تاريخيتان لا تقبلان الإنكار أو المكابرة أولاها : أن المجتمع الذى تأسس على تعليم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بدء الإسلام ، لا يزال حيا قائما الى هذا اليوم وما فارقت حياته ليوم واحد ، وما زالت جميع مؤسساته طيلة هذه المدة قائمة بأعمالها بصفة غير منقطعة وان التشابه الذى يوجد اليوم بين المسلمين فى جميع اقطار الارض على تباعدها فى عقائدهم وأساليب فكرهم وأخلاقهم وقيمهم وعباداتهم ومعاملاتهم ونظريتهم فى الحياة وطريقتهم لها أن هذا التشابه أو التماثل بين المسلمين الذى يغلب فيه عنصر التوافق والتطابق على عنصر التخالف والتفارق ، لهو دليل واضح ، وبرهان قاطع على أن المجتمع انما اقيم على سنة واحدة بعينها ، وان هذه السنة ما زالت جارية فى مجراها بصفة واحدة بدون انقطاع ولا توقف أن هذه السنة ليست بشيء مفقود حتى نحتاج للبحث عن آثارها الى التخبيط خبط عشواء فى الظلمات .

والحقيقة التاريخية الثانية ، التى لا تقل عن الاولى فى جلائها وسطوعها ، هى أن المسلمين ما زالوا فى كل زمان بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يبذلون سعيهم لمعرفة ما هى السنة الثابتة ، وما هو الشئ الاجنبى الذى يحاول التسرب الى نظامهم للحياة بطريق صناعى وبما أنهم كانوا يرون فى السنة مصدرا لقانونهم وما كانت تحكم محاكمهم الا بها ولا كانت تجرى شؤون حياتهم - من شؤون بيوتهم الى شؤون حكوماتهم - الا على أساسها ، فما كان لهم بوجه من الوجوه ، أن يكونوا من الفاسقين غير المكترئين لشئ فى تحقيقها ، فما زال كل جيل منا - منذ خلافة الاسلام الاولى الى هذا اليوم - يرث عن سالفه وسائل هذا التحقيق ونتائجه ولا يزال محتفظا به عندنا اليوم كل عمل تم على يد جيل من أجيالنا الماضية بدون انقطاع ولا ضياع .

فهاتان الحقيقتان التاريخيتان اذا تأمل فيهما الانسان ودرس ما اتخذ من الوسائل لنقل السنة دراسة علمية وافية ، لا تكاد تساوره الشبهة بأن قضية تحقيق السنة ووسائل معرفتها معضلة ، لا يمكن أن يوجد لها حل .

رابعا - لا شك أن قد ظهرت فى الماضى ، ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك اختلافات كثيرة فى المسلمين حول تحقيق السنة وتعيينها ، ولكن ليس من الحقيقة فى الوقت نفسه أن قد ظهر ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك ، مثل هذه الاختلافات فى المسلمين حول تعيين المعنى لكثير من أحكام القرآن وآياته ، فاذا كان لا يجوز أن يكون وجود مثل هذه الاختلافات دليلا على ترك القرآن ، فكيف يجوز أن يكون دليلا على ترك السنة ؟ من القواعد التى ما زال يعترف بها من قبل

ولا بد من الاعتراف بها اليوم أيضا ، ان كل من يدعى شيئا انه من احكام القرآن أو احكام السنة ، عليه ان يأتى بدليل على دعواه ، فان كانت دعواه قوية ، فلا بد ان ترغم اهل العلم من الامة أو عددا كبيرا منهم على الاقل ، على الاعتراف بصحتها ، وأما ان كانت دعواه بدون وزن باعتبار الدليل ، فلا تنال رواجاً فى الامة أبداً ، وهذه هى القاعدة التى على أساسها قد اجتمع عشرات الملايين من المسلمين فى مختلف أقطار الأرض على مذهب من المذاهب الفقهية وأقامت جماعات كبيرة منهم نظامها الاجتماعى على طريق من الطرق لتفسير احكام القرآن ومجموعة من مجامع السنة الثابتة .

هذا هو جوابى على الاعتراض الاول ، أما الاعتراض الثانى على مقالى ، فهو ان فيه التناقض أى ان قولى « ان ليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعى أن يغير فى احكام الكتاب والسنة الفاطمة » وقولى « انه يجب ان يشخص بمسدد تفسير الاحكام انه أين والى أى حد يجوز للانسان التشريع للحالات والوقائع الاستثنائية على ان لا يصطدم مع احكام الشريعة وقواعدها » ، فهذان القولان بينهما التناقض فى نظر المعترض ، غير انى ما استطعت ان أجد بينهما هذا التناقض ، لان الدنيا لا يوجد فيها قانون ، الا وفيه الاستثناء من القاعدة العامة فى حالة الاعتذار والاضطرار ، وان القرآن نفسه فيه غير نظير واحد لمثل هذه الرخص والاستثناءات ، وان الفقهاء قد حددوا القواعد التى لا بد من رعايتها فى تعيين الرخصة ومواقعها ، كقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات ، وقاعدة ان المشقة تجلب التيسير . والاعتراض الثالث على جميع أولئك الذين قد بينوا فى مقالاتهم شرائط للاجتهاد والمجتهدين وبما انى واحد من هؤلاء ، أرى من الواجب على نفسى ان أقوم بالرد على هذا الاعتراض .

فالذى يحسن بى — فى هذا الصدد — ان اطالب المعترض بان يتفضل ويميد النظر مرة أخرى فى ما بينت فى مقالى من الشرائط ، ويبين أى هذه الشرائط يريد استقاطه ؟ اشترط ان يكون المجتهد مؤمناً بالشريعة الإسلامية وموقناً بكونها الحق ؟ أم شرط ان يكون ملماً باللغة العربية وقواعدها وأساليب أدبها ؟ أم شرط ان يكون متضلعا من علم القرآن والسنة ، أم شرط يكون واقفاً على تراث الامة القانونى الذى ورثناه عن فقهاء السلف ؟ أم شرط ان يكون مطلعاً على احوال الحياة العملية ؟ أم شرط ان يكون متخلفاً بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ؟ — هذه هى الشرائط التى بينتها فى مقالى ، فليترك المعترض ويبين بالتحديد أى شرط من هذه الشرائط يجب حذفه ؟ أما القول بأنه لا يمكن ان يوجد فى الدنيا كلها الا عشرة أو أحد عشر رجلاً يعتبر أهلاً لمثل هذه الشرائط ، فانى لا أرى هذا القول الا مبالغة شنيعة فى سوء الظن بمسلمى الدنيا .

ولعلنا لم نزل الانحطاط حتى فى نظر اعدائنا الى درجة ان لا يروا من بين مسلمى الدنيا كلها الا عشرة أو أحد عشر رجلاً متصفين بهذه الصفات اللازمة للاجتهاد ، وأقول إنكم اذا كنتم متشوقين الى فتح باب الاجتهاد لكل زيد وعمرو ، فافتحوه على الرأس والعين ، ولكن بينوا لى على الاقل ان الاجتهاد الذى سيتولاه الجهال بالاسلام ، غير المتقيدين بالاخلاق ، غير المخلصين فى ارادتهم المشبوهين فى نياتهم ، ماذا ستمعملون لجعل اجتهادهم شرايباً عذبا فرائداً ، يستسيغه جمهور المسلمين .

# من مَدِي السَّنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد  
الأستاذ بجامعة الكويت

## الميسارعون في الخيرات

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » (١) هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : ( لا ، يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم . » أولئك الذين يسارعون في الخيرات .

رواه ابن ماجة والترمذي

١ نظرة في الآية الكريمة وخاصة في الفعل ( يؤتون ) بالإضافة الى سؤال أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وجواب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعطى أن في هذا الفعل قراءتين ، فقد قرأت أم المؤمنين : ( يأتون ) وتابعها في ذلك ابن عباس وقتادة والأعمش والنخعي ، والمعنى على هذه القراءة ( يفعلون ) فهو من الاتيان يأتون ما آتوا أى يفعلون ما فعلوا ، وعليه صح أن يرد السؤال : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ، وفي رواية زيادة : ويزنون ، أى يفعلون هذه الأفعال المنهى عنها شرعا ، والقراءة الثانية للجمهور : يؤتون أى يعطون ، وفي جواب سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ما يشير الى هذا فقد قال : لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ... الخ .. ومع هذا يخافون ألا يقبل منهم ما قدموا ، ولهذا قيل : المؤمن يجتمع أحسانا وشفقة ، والمنافق يجتمع أساءة وأمانا ، وقال أبو عبد الله الرازي ( ترتيب هذه الصفات (٢) في نهاية الحسن ، لأن الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله ، والثالثة على ترك الرياء في الطاعة ، والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتى بالطاعات مع خوف من التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين ) . بعد هذا نجد الجواب الشريف راسبا الصورة الصادقة للمؤمن الكامل الايمان ، فالؤمن الحق هو المعتقد اعتقادا جازما بوجود الله وصدق رسله غير مرتاب ولا شاك ، فهو يرى أن أداء ما فرضه الله عليه واجب لا يمكن مخالفته ، وأن الجهاد بالنفس والمال للموت والفناء أو النصر وكريم البقاء من أسى غايات

الايمان ، يقول الله تبارك وتعالى ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون ) ومن ظن ان الايمان هو اظهار القول دون التصديق بالقلب ودون أن يبرز أثر ذلك الايمان فى تصرفات المؤمن على حد قوله فهو اما منافق يدافع عن المنافقين مؤيدا لهم واما جاهل لا يدري ما يقول ، قد أخرجه عناده عن دائرة الحق . والايمان يقرب العبد من ربه ويحمله على الخوف الشديد من لقاءه ، وقد حث القرآن الكريم على الخوف من الله فقال سبحانه : ( فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ) اى لا تخافوا اولياء الشيطان ولا تحفلوا بهم ، بل خافونى فى مخالفة أمرى لأنكم اوليائى وانا ناصركم . وقال سبحانه : ( ويرجون رحمته ويخافون عذابه ) وروى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، الا أن سلعة الله غالية ، الا أن سلعة الله الجنة ) . والمؤمن متوكل على الله معتمد عليه واثق به موثق انه ناصره وهو حسبه ، وورد فى القرآن الكريم ما يشير الى أن التوكل شرط فى الايمان فى قوله تعالى : ( وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ) وفى قوله جل وعلا ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) كما أشار القرآن الى حديث لرسول الله مع اقوامهم يؤيد هذا ( وما كان لنا ان نأتىكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ) وحكى القرآن عن سيدنا هود عليه وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام قوله ( انى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ) وما أكثر الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر التوكل على الله ، وروى ابن ماجة عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ان يقلب ابن آدم اودية ولكل واد شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد هلك ومن توكل على الله كفاه الله الشعب ) . وفى مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة والدارمى عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( انى لأعلم آية فى كتاب الله عز وجل لو أخذ الناس بها لكفتهم ) ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل لكل شيء قدرا ) من دلائل الثقة بالله ، وقوة الايمان به ان يرهب المؤمن عقاب الله ويخشع لجلاله ويسارع فى عمل الطاعات مع الامل فى ثواب الله تعالى ، وقد مدح الله سبحانه عباده الذين أخلصوا العمل وخشعت قلوبهم لسلطانه ، قال تعالى : « أنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » وقال عز اسمه « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملأوا ربهم وأنهم اليه راجعون » .

٢ - وبلاحظ فى الآيات والأحاديث أنها تدعو دائما للعمل الجاد مع الرجاء والخشية من الله ، فتوابع الله وجناتسه لا تنال بالكلام دون التطبيق العملى الواقعى ، فلو وقف انسان تحت شجرة مثمرة الف عام وهو ماد يديه الى الثمر يطلب جناها دون أن يعمل ما يساقط عليه ثمارها فلن يحصل على طائل منها مهما دعا ومهما جأر بصوته ومهما نادى ، ولهذا كان من دلائل القرب من الله ايمان العمل بأوامره واجتناب نواهيه فمن أشفق من عذاب ربه عمل ما يبعده عنه ، ومن خاف أن يحشر الى الله وليس له من دونه ولى ولا شفيع فعليه بالعمل والامتنال وانظر الى قوله تعالى ( وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون . ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغفلة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك

عليهم من شيء فخطردهم فتكون من الظالمين ) وقوله سبحانه ( انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب ) وقوله ( الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثنائي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ) وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دائب العمل والاستغفار وقد ورد انه نوقش في هذا وقيل له لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاجاب عليه الصلاة والسلام : افلا اكون عبدا شكورا ، وورد انه كان يستغفر في اليوم مائة مرة . والعدد هنا لا مفهوم له فربما كان يزيد الى مئآت ، ومجمل القول ان الذي يقول ولا يعمل هو مخادع كذاب لا يخشى الله ولا اليوم الآخر .

٣ - فالذين يتحدث عنهم الرسول الكريم يعملون ويخافون ان لا يقبل منهم عمل ووصفهم بانهم يسارعون في الخيرات وهنا نثوب الى واقع المسلمين ونسأل هل طبقوا ما يعلمون من دينهم على ما يعملون في واقع حياتهم والجواب الذي يبليه ما هم عليه : كلا والى كذا حتى حبلوا اسماء الاضداد فهذا مسلم ظاهرا وهو ابعد ما يكون عن الاسلام حقيقة ، وذلك سميع لله وهو يهجر ابسط قواعد دين الله ، وكأني بالمسلمين يتحدثون ربهم والعباد بالله من شر الوسواس الخناس ، وذلك حين يتبادل بعضهم بعضا ، ويقطع بعضهم اواصر القرى فتل الى من اغان التتر على المسلمين ، ومن مزق دولتهم في القرون الاولى من تاريخ الاسلام ومن اعطى الاندلس بعد اسلامها الذي دام ثمانية قرون لقمة سائغة لاعداء الله ، ومن حالف الكفر واستنصر به ، وولى ظهره لبنى عبومته واوليائه المسلمين ، السنا نجنى الآن ثمار اهمال طويل لدين الله ، وما واقع المسلمين اليوم الا خكاية كل يوم مر بهم عبر السنين المتلاحقة التي ولت ، وهم جثاة على اعتاب الشيطان الذي اذلهم حين عاذوا به ويوم لا ذوا بسلطانه فزادهم رهقا ، وكيف يطلب احترام الغير من لا يقدر نفسه ولا يزنها بميزان اسلامه وكرامته ، بميزان قرآنه وسنة نبيه .

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس اهونا  
عاش المسلمون دهرا يستذل قويمهم ضعيفهم فخرست الالسن عن الحق ، ولاذ مؤمنهم بجحر ضب خرب ، واصم اذنيه واعى عينيه ، يرى ما يستحق الانتكار ولا يستطيع ان يفتح فاه بكلمة صنيق مضاعت فيهم حرية الراى وانطلقت اللسنة السوء تغتال كل كريمة وتقيح كل حسن وتجمل ما ساء وما يهلك ، واحتال العقلاء للوصول الى طريق النجاة ولكن هيهات ، واخيرا تاكلوا ولم يتوكلوا ، وتركوا اللب واهتموا بالقشور ، جرت الامثال تنذر احيانا في اسلوب ساخر تلميحا ففي التصريح الموت والدمار وقال قائلهم : ( سلام تناطحون والجزار بالباب ) ونادى مناديههم ( كلنا في الهم شرق ) وما قصر الداعون وان عملوا في جو رهيب . ونعود فنتذكر ان اليأس مهلك ، وان الامل محيي موات القلوب ونسارع الى كتاب الله والى جهاد السابقين فنجد الدواء والقوة ولقد كان لنا في رسول الله الاسوة الحسنة ، وعسى ان يطلع الغد بها هو خير لأوطان الاسلام ونور يضيء لقادة القوم طريق الحياة الكريمة ويربهم الفى غيا غيبتهدوا عنه ، وسبيل الرشيد صلاحا فيسلكوه ، ومهما طال الليل فلا بد من فجر ، ومنى اشتد الظلام طلب الضياء فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا . ولكن لا بد من اقتران القول بالعمل والاستعانة برب كل شيء فالحاله يقول بعد هذا « فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » .

(١) الآية ٦٠ (ن سورة « المؤمنون » .

(٢) الواردة في الآيات المنضمة الى الآية الكريمة التي معها وقد سبقها ولحقها آيات اخر هي من قول الله تعالى « ان الذين هم من ربهم مشفقون » الى قوله سبحانه اولئك يسارعون في الخيرات .



# الأمم

## عقيدة وعمل

للكنور محمد سلام مذكور

فقيل له : كيف عرفت ربك ؟ فقال :  
الأثر يدل على المسير ، والبصرة  
تدل على البعير ، فسماء ذات أبراج ،  
وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات  
أمواج ، ألا تدل على اللطيف الخبير .  
وان كل عقل سليم إذا فكر اهتدى لا  
محالة الى معرفة خالقه فآمن به  
واتجه الى عبادته تقديرا لربوبيته  
وشكرا له على نعمته « ومن يؤمن  
بالله يهد قلبه والله بكل شيء  
عليم » .

والإيمان هو النور الذي  
يضيء للقلب طريقه في الحياة على  
نوعين : - إيمان بقيمة الفضيلة  
والسلوك الحسن ، وإيمان بذات  
عالية رقية على السرائر ، يستمد  
القانون سلطانه الأدبي من أمرها

ان هذا الوجود كله بما فيه من  
حيوان ونبات وجهاد ، وبما فيه من  
صنع عظيم وانتظام بديع وتنسيق  
رفيع ، لأكبر آية على وجود مبدع  
لا شريك له .

ان هذا الوجود بنظامه الدقيق ،  
وبما فيه من سنن لا تتخلف ، وتماسك  
لا يقبل التفكك ، آية على ذلك الإله  
العظيم . فهذا الوجود لا بد له من  
موجد عظيم ، وهذا الخلق العجيب لا  
بد له من خالق قدير . فمحال أن  
يكون ذلك الكون نشأ وحده دون قوة  
تنشئه وتدبر شأنه ، كما أن محالا  
أن تكون صنعة لا صانع لها وان لم  
تر الصانع حين صنع . فكل أثر  
لا بد له من مؤثر ، وكل موجود لا بد  
له من موجد ، ولهذا سئل الأعرابي

وبوجوده يتحقق وجود الانسان وبانعدامه ينعدم الانسان ، وبقيّة الطاعات ، ومنها اظهار الايمان بالقول والفعل تكون كأطراف الانسان فانه بزوال بعض هذه الاجزاء لا تنعدم حياة الانسان ، وانما هي مكحلة ومتممة له ، كما ان الاعمال التي هي عنوان على التصديق النفسى من مكملات الايمان ، وان قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » ومعناه أن ايمانه فى هذه الحالة لا يكون كاملا ، وليس معناه انه افتقد ايمانه ، بدليل أن الزانى يعامل فى الاسلام معاملة المؤمنين ، ويدفن اذا مات فى مقابر المسلمين .

ولهذا يقول السلف ان الايمان يزيد وينقص بالعمل الصالح ، والعمل السيئ ، يزيد بالعمل الصالح وينقص بالمعصية . فالعمل يؤثر فى نساء الايمان وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ، ولذلك قال الله تعالى : « فزادتهم ايمانا » وقال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » ولهذا قال على كرم الله وجهه : ان الايمان ليبدوا لمعة ببضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه غذلك هو الختم .. ويبدو انه رضى الله عنه يقصد قول الله تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

وكل هذا يدل بوضوح على ارتباط كمال الايمان وتمامة بالاعمال ، وان الطاعة تزيد وتقوية ، وان المعصية تنقصه وتضعفه . فالله سبحانه جل شأنه يقرن الايمان بالعمل فى الكثير الغالب ، ويجعل الايمان أصل الصلاحية « الفلاح والعمل مترتبسا

ونهيها . ولا ريب أن هذا الأخير اقوى سلطانا على النفس الانسانية ، وأسرع نفذا فى قلوب العامة والخاصة لايمانهم بوجود رقيب على سلطان الضمير . ومن أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة ، وكان التدين ضرورة اجتماعية ، كما هو غطرة انسانية وفيه صلاح للفرد وصلاح الجماعة كلها .

والايمان هو التصديق ، وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمان ، ولذا كان الايمان اشرف اجزاء الاسلام الذى هو التسليم والانقياد بالقلب أو اللسان أو الجوارح ، يقول الله فى بيان ذلك « قالت الاعراب ائمانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا .. » أى استسلمنا فى الظاهر ، وهذا يفيد ان الايمان دعامة التصديق بالقلب ، وأن الاسلام اظهار ذلك بالجوارح ، ولذا فان الله سبحانه يقول « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ولم يقل بالاسلام . وقد جاء فى الحديث الشريف أن الرسول عليه السلام سئل أى العمل افضل ؟ فقال الاسلام ، فسئل أى الاسلام افضل ؟ فقال الايمان .

وقيل إن الايمان تصديق بالقلب وشهادة باللسان وعمل بالأركان ، ولا شك أن من جمع بين اطمئنان القلب بالايمان واظهاره ذلك باللسان واقامة الشعائر والعمل الصالح كان فى أعلى الدرجات .

وقد اشتهر عن السلف قولهم : ان الايمان عقد وقول وعمل . وان كنا نقول : ان الايمان يتحقق بتصديق القلب واطمئنانه ، الا أننا نرى أن اظهار ذلك بالقول والعمل الصالح مكمل له ومتمم ، فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من الانسان ،

سده ، ولا ثواب له عليه ، ولهذا يقول العلماء : من فقد الإيمان وعمل مهمل من الصالحات ، فإن الله سبحانه جل شأنه بعبدله وإحسانه يكافئه عليه حسنات في الدنيا ، وقد تكون تلك الحسنات بدفع بعض المكروهات حتى يجيء يوم القيامة ولا يجد مما عمل شيئاً من الثواب .

وكذلك قول الله تبارك وتعالى في أعمال غير المؤمنين إذ يشبهها برماد أزالته الريح في يوم عاصف تشدد فيه الرياح فيقول جل جلاله : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد » .

ومن هذا يتبين بوضوح صدق القول بأن الله لا ينظر إلى صورنا ، وإنما ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا فالأساس هو العمل المقام على نية صادقة وإيمان كامل . كما يبين مدى اهتمام الإسلام بالعمل في الحياة ، حتى بين الله سبحانه لنا أنه خلق الموت والحياة ، لتكون الحياة مجال عمل ، ويتبين من أحسن عملا يقول الله جل شأنه « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق السموات والأرض ليبلوكم أيكم أحسن عملا .. » فنعم أجر العاملين .

فليس الإيمان إذا انطلق بالشهادتين ، وإن أومن بالبعث والحساب ، وبأن الفضائل مطلوب فعلها وأن الرذائل مطلوب اجتنابها ، وأن معاملات الناس بعضهم مع بعض أفراد وجهاعات يجب أن تقوم على الحب والأخلاص والصدق والوفاء ، وأن الفرد يجب أن يقترب إلى الله بالعبادة وفعل الخير والإحسان إلى الناس بفعل ما يعود على مجتمعهم بالنفع ، ليس الإيمان أن يعتقد الشخص في نفسه بكل ذلك

عليه ، ومقامها على أساسه ، ليشعر أن العمل من غير أساس يكون ضعيفا وأهيا مآله الزوال العاجل ، وإن الإيمان دون عمل لا يظهر له نفع ولا يعود على الناس منه خير . فهو كمن يصنع الأساس دون أن يقيم عليه أي بناء ، انظر في هذا التشبيه قول الله تعالى : « آمين أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به » . . . وكذلك فإن ما روى عن الرسول عليه السلام وهو الذي لا ينطق عن الهوى فيه ما يشعر بوضوح ارتباط كمال الإيمان وتماهه بالعمل الصالح الذي ينفع الفرد والمجتمع . وأنه لتشبيهه بليغ أن يقول صلوات الله عليه « الإيمان عريان ولباسه التقوى ، فهو صلوات الله عليه يبين أن الإيمان هو الأصل والأساس ، ويشبهه بالإنسان ، ويشبه العمل الصالح باللباس الساتر للعمرة والواقى من الحر والبرد ، كما ربط صلوات الله وسلامه عليه الإيمان بالبراءة عن الفساق والشرك الخفى فقال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن . إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أثمن خان ، وإذا عاهد غدر » . .

وفي هذا الحديث ما يدل بوضوح أيضا على أن مجرد زعم الإيمان والادعاء دون تحقيقه وتعلق القلب به لا يجدي ، وإن ما يقوم به الشخص مع ذلك من عمل يكون من غير أساس . ويؤيد هذا المعنى بوضوح قول الله سبحانه وتعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . » فهو يدل على أن العمل بدون إيمان لا أثر له في ميزان الأفعال عند الله ، ولا قيمة له

دون أن يكون له اثر فى فعله وقوله .  
وانما لا يكتمل الايمان الا اذا كان  
لذلك مظهر واضح فى الاقوال  
والاعمال ، فيتصف بالصدق والوفاء  
والأمانة والاخلاص ، ويعرف عنه  
الكد والكفاح والعمل فى مجال الحياة  
بما ينفعه ويجعله شخصا نافعا  
لجماعته وقومه .

فالكذب والفدر والخيانة وقول  
الزور وفعل الموبقات مما يضعف  
الايمان وينقصه ، والخلود الى  
الخمول والكسل والقصور عن العمل  
والكد والكفاح والضرب فى الأرض  
للاستفادة بما بثه الله فيها من  
خيرات ، وعدم السعى للتزود بالعلم  
والمعرفة بقدر الطاقة والمستطاع مما  
يضعف الايمان وينقصه .

فالعامل المطلوب من المؤمن ليس  
هو فقط فعله العبادات المعروفة ،  
وانما كل عمل نافع فى الحياة لأن كل  
ذلك عبادة وقد وردت فى القرآن  
والسنة أمثلة كثيرة تؤكد هذا المعنى  
وتصف الأنبياء بأنهم كانوا ذوى حرف  
وصناعات ، فضلا عن انشغالهم  
بالدعوة الى الله . فقد كانت مهنة  
داود عليه السلام أن يصنع الدروع  
والسيوف ، أشبه بمهنة الحدادة فى  
عصرنا ، فقد الآن الله له الحديد ،  
وأقدره على تحويله يقول الله تعالى  
« يا جبال أوبى معه والطير وأنا له  
الحديد أن يعمل سابغات .. » .

ويقول الرسول صلوات الله  
عليه « ما أكل أحد طعاما خيرا من أن  
يأكل من عمل يده » ، وأن نبى الله  
داود عليه السلام كان يأكل من عمل

يده « وكانت مهنة نوح النجارة  
وصناعة السفن يقول الله تعالى  
« واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا  
تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم  
مفرقون . ويصنع الفلك وكلما مر عليه  
ملا من قومه سخروا منه » وكانت  
مهنة موسى عليه السلام رعى الغنم  
فقد أشار القرآن الكريم الى انه  
اشتغل أجيرا عشر سنين فى أرض  
قومه ، وهكذا بالنسبة لخاتم الرسل  
فانه اشتغل برعى الغنم وبالتجارة ،  
وكانت حياته كلها كفاح وعمل فى  
سياسة الدولة والفصل بين الناس ،  
فضلا عن توجيههم وارشادهم  
« وفضلا عن العبادات الخاصة »  
ولذا فانه صلوات الله عليه يقول  
فيما رواه عنه ابن عمر رضى الله  
عنهما « أن الله يحب المؤمن  
المحترف » ويقول فيما روته السيدة  
عائشة رضى الله عنها « من أمسى  
كالا من عمل يده أمسى مغفورا له »  
والله تعالى يقول : « وقل اعملوا  
فسيرى الله عملكم ورسوله  
والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب  
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

**فالايمان يا اخى القارىء عقيدة  
وعمل . تصديق بالقلب وقول باللسان  
وعمل بالجوارح ، والعمل هناك  
يقترن على الصلاة والصوم وغيرها  
مما عرف باسم العبادات وانما هو  
شامل لكل أعمال الخير التى تنفع  
المجتمع ، وتعود على البشرية بالخير  
وفقنا الله الى الايمان الكامل .**

والى لقاء قادم نتكلم عن العقائد  
التي طلب الله سبحانه منا الايمان  
بها .

# الايمان



## سر القوة الإسلامية

للأستاذ محمد عطية الأبراشي

ان الايمان بالله هو الذى حُبب الى المسلمين الاستشهاد فى سبيل الاسلام وجعلهم يعتقدون ان الاستشهاد نصر من الله دونه كل نصر . ولا نبالغ اذا قلنا ان الاسلام لم ينتشر الا بالايمان . فالايمان هو سر القوة الإسلامية ، وسر انتصار المسلمين الاول فى نشر الدين الاسلامى فى الامبراطورية الإسلامية العظيمة فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين . وفى أثناء فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص أرسل المقوقس الى عمرو رجالا من أصحابه ليروا كيف يعيش المسلمون .

فلما أتت عمرا رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى  
خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : « أترون أنهم يقتلون الرسل  
ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك في دينهم ؟ » .

وقد أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين ، ثم رد عليهم عمرو  
بقوله : « انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال : إما ان دخلتم في  
الاسلام ، فكنتم اخواننا في الاسلام ، وكان لكم ما لنا . وان أبيتم أعطيتم  
الجزية عن يد ( قدرة ) وأنتم صاغرون وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال  
حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين . »  
فلما جاءت رسل المقوقس اليه سألهم : كيف رأيتموهم ؟

فأجابوا : رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع  
أحب اليهم من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة . وانما  
جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف  
رفيعهم من وضعيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم  
يتخلف عنها منهم أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون في صلاتهم .  
فقال المقوقس : والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال  
لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد .

ويؤخذ من اجابة رسل المقوقس أن المسلمين كانوا مثالا للشجاعة  
والبسالة يحبون الموت أكثر من الحياة . كانوا متواضعين ، زاهدين ،  
غير مترفين . يعيشون عيشة تقشف وزهد ، لا يفكرون في المظاهر .  
يؤمنون بالاخوة والمساواة ، فأمرهم يرى كأي فرد منهم . لا يعرف فيهم  
الرفيع من الوضعيع ، ولا السيد من العبد . يؤمنون بربهم ، ويعبدونه  
وحده ، خاشعين في عبادتهم .

ومما قاله عبادة بن الصامت للمقوقس : « إنما رغبنا وهمتنا الجهاد  
في الله ، واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة  
الدنيا ، ولا طلبا للاستكثار منها ، الا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ،  
وجعل ما غنينا من ذلك حالا ، وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب  
أم كان لا يملك الا درهما ، لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها  
جوعته ، ليلته ونهاره ، وشملة (١) يلتحفها . وان كان أحدنا لا يملك الا ذلك  
كفاه . وان كان له قنطار من ذهب انفق في طاعة الله ، واقتصر على  
هذا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورضاءها ليس برضاء ، وانما النعيم  
في الآخرة . بذلك أمرنا الله ، وأمرنا به نبينا ، وعهد الينا الا تكون همة  
أحدنا في الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله  
في رضا ربه ، وجهاد عدوه .

وبينما عبادة بن الصامت يصل في ناحية ، وفرسه عنده — رآه  
قوم من السروم ، فخرجوا اليه ، وتحرشوا به ، فلما دنوا منه سلم من  
الصلاة ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم . فلما رآوه ولوا هاربين ،  
وتبعهم فجعلوا يلقون حللهم ومتاعهم ، ليشغلوه بذلك عن طلبهم ، فصار  
لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن . ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة ،  
فرجع ، ولم يتعرض لشيء مما رموه من متاعهم ، حتى رجع الى المكان  
الذي كان فيه ، فاستقبل الصلاة ، وخرج السروم الى متاعهم وجعوه .

وهكذا يكون الايمان بالله ، والزهد فى الدنيا ومتاعها ، والشجاعة والاقدام .

### الله معك وكفى بالله وليا ونصيرا :

وقد كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب ، وأرسل الكتاب مع عبد الله بن قريط التمالى :

« أما بعد : أخبر أمير المؤمنين — أكرمه الله — أن الروم نفرت (٢) الى المسلمين برا وبحرا ، ولم يخلفوا وراءهم رجلا يطيق حمل السلاح الا جانتوا (٣) به ، وجاءونا وهم نحو اربعمائة الف رجل . . . فالحجل العجل يا أمير المؤمنين ؟ بالرجال بعد الرجال والا فاحتسب انفس المؤمنين أن هم اقاموا ، ودينهم منهم ان هم تفرقوا ، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به ، الا أن يهدمهم الله بملائكته ، أو يأتيهم بغياث من قبله . والسلام عليك . »

### فكتب عمر الى أبي عبيدة :

« أما بعد ، فقد قدم على أخو ثماله بكتابك ، يخبرنى فيه بنفير الروم ( اسراعهم ) الى المسلمين برا وبحرا . . . . . ون ربنا المحمود عندنا ، والصانع لنا ، والعظيم ذا المن والنعمة الدائمة علينا . . . بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، واعزه بالنصرة ، ونصره بالرعب على عدوه ، وقال — وهو لا يخلف الميعاد : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون . » فلا يهولنك كثرة ما جاءك منهم ، فان الله منهم برئ . ومن برئ الله منه كان قمنا (٤) لا تنفعه كثرة وان يكله الله الى نفسه ويخذله . ولا توحشك قلة المسلمين فى المشركين (٥) فان الله معك . وليس قليلا من كان الله معه . فأقم بمكانك الذى أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم (٦) وتستظهر (٧) بالله عليهم . وكفى به ظهيرا ووليا ونصيرا . وقد فهمت مقاتلتك : « احتسب انفس المسلمين ان هم اقاموا ، ودينهم ان هم تفرقوا . فقد جاءهم ما لا قبل لهم به . الا أن يهدمهم الله بملائكته ، ويأتيهم بغياث (٨) من قبله . »

وأيم الله لولا استثنائك بهذا لقد كنت أسأت . ولعمري ان اقام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا لما عند الله خير للابرار . « فمنهم من قضى نحبه (٩) ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (١٠) (( فطوبى )) للشهداء . وان لمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين لأسوة بالمصرّعين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطنه . فما عجز الذين قاتلوا فى سبيل الله ، ولا هابوا الموت فى جنب الله ، ولا وهن الذين بقوا من بعده ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، ولكنهم تأسوا بهم ، وجاهدوا فى الله من خالفهم منهم ، وفارق دينهم ، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال : « وكاين من نبى قاتل معه ربيون (١١) كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين . » فاما ثواب الدنيا فالغنية والفتح ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة .



واقرا كتابى هذا على الناس ، ومرهم فليقاتلوا فى سبيل الله ، وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .  
فاما قولك : انهم قد جاءهم ما لا قبل لهم به ، فلا يكن لكم بهم قبل ( طاقة ) فان لله بهم قبلا ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدرا . ولو كنا والله انما نقاتل الناس بحولنا وقوننا وكثرتنا لهيئات ما قد ابادونا ( ١٢ ) واهلكونا . ولكن نتوكل على الله ربنا ، ونبرأ اليه من الحول والقوة ، ونسأله النصر والرحمة وانكم منصورون ان شاء الله على كل حال . فاخلصوا لله نيتكم ، وارفعوا اليه رغبتكم ، واصبروا وصابروا ورابطوا ، وانتقوا الله لعلمكم تغفلون . » ثم ارسل اليه عمر جيشا مددا له .

### الاسلام انتصر بالايمان والاخلاص :

وان نظرة واحدة الى كتاب عمر بن الخطاب ترينا ان الاسلام قد انتصر بالايمان والاخلاص ، وتوفيق الله ، والعقيدة والصبر ، والثقة بالله ، والانتكال على الله والتفاؤل ، والثقة بالنفس . وقد اتخذ عمر الإحصاء فى رده على أبى عبيدة بقوله : « انكم منصورون ان شاء الله على كل حال . » مهما يكن عدد المسلمين قليلا ، ومهما يكن عدد المشركين كثيرا . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . » وقد انتصر المسلمون مع قلتهم ، على الروم والمشركون من العرب والفرس مع كثرتهم . وكان من أهم اسباب النصر الايمان بالنصر ، والعقيدة ، والاستمانة بالله ، ويبدو ذلك من رد عمر بن الخطاب ، على أبى عبيدة بن الجراح بما يأتى :

« واعلموا انه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم ، ولربما خذل الله الجموع الكثيرة ، فوهنت ، وفلت ( ١٣ ) وفشلت ولم تغن عنهم فئتهم شيئا . ولربما نصر الله العصابة القليل عددها ، على الكثير عددها من أعداء الله ، فأنزل الله عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله وإعداء المسلمين بأسه ( ١٤ ) ورجزه . »

ولكى نثبت ان الاسلام انتصر بالايمان والعقيدة نقتبس هنا جزءا من كتاب باهان الى قيصر الروم يصف فيه جنود المسلمين :

« اما بعد ، فانك قد بعثتنى فيما لا يحصى من العدد الا الله ، فقدمت على قوم فارسلت اليهم ، وهيبتهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوفتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا . وجعلت لهم الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا . وقد دمر منهم جندك ذعرا شديدا . . . »

ونشبت بين الفريقين وقعة اليرموك ، وكانت النصرة فيها للمسلمين والهزيمة على المشركين ، لان المسلمين كانوا مثالا للشجاعة والايمان ، ولم يبالوا بالأعداء مع كثرتهم . ولما انتهى خبر الهزيمة الى ملك الروم رحل الى القسطنطينية راجعا وخرج من أرض الشام . ولما اشرف على أرض الروم استقبل الشام بوجهه فقال : « السلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى أنه يرجع اليك أبدا . »

## الايمان الكامل :

وقد وصف الله المؤمنين ايمانا كاملا فى سورة ( المؤمنون ) بقوله :  
« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون (١٥) والذين هم عن اللغو (١٦) معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . (١٧) والذين هم لفروجهم حافظون . (١٨) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم (١٩) فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . (٢٠) والذين لأيماناتهم وعهدهم راعون . (٢١) والذين هم على صلواتهم يحافظون : »  
وفى سورة الحجرات فى قوله عز وجل : « قالت الاعراب (٢٢) آمنا (٢٣) قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا (٢٤) ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم . وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم (٢٥) من أعمالكم شيئا ، ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون (٢٦) الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا (٢٧) ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون . » فى ايمانهم بالله .

وفى سورة الانفال فى قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا نطيت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون (٢٩) . الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون (٣٠) . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . »

## « الله أكبر » :

الله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، وأقوى من كل قوى فى هذه الحياة .

اذا سمعت المؤذن يؤذن للصلاة قائلا : « الله أكبر » كان لهاتين الكلمتين روعة مؤثرة فى نفسك . واذا سمعت المسلمين يرددون فى صلاتهم : « الله أكبر » كان لهذه الجملة أثر شديد فى نفوس من يسمعونها ولا عجب ، فهى تمثل الايمان الكامل بالله وعظمته وحده لا شريك له ، تمثل الايمان الذى ينبعث من قلب المؤمن بالواحد الاحد ، العلى الصمد . وان المؤمن بالله هذا الايمان القوى لا يتأثر ولن يتأثر بأى قوة أخرى فى هذا العالم . واذا آمن المسلمون جميعا بالله وعظمته الالهية ، فلن تستطيع امة أخرى من الامم أن تقف فى سبيلهم ، أو تمسهم بأى سوء . وبالايمان بالله كان المسلمون أقوياء ، معتزين باسلامهم ، محافظين على دينهم مدافعين عنه بالسنتهم وأقلامهم وأرواحهم .

## ما يتطلبه الايمان بالله :

ويتطلب الايمان بالله ان تكون عبادة الله خالصة لوجهه تعالى ، فيصلى المسلم ليتהל الى الله ، ويتصدق على الفقراء والمحتاجين ارضاء لله ، ويصوم رمضان شكرا لله ، ويحج ليزكر الله ، لا يبتغى من هذه العبادة جزاء ولا ثوابا ، ولكنه يقترب بها الى ربه ، ويلتمس منه قبولها بروحه وقلبه .

يتطلب الايمان بالله الطهارة والصفاء والاخلاص والعمل عن عقيدة ، وترك المظاهر الكاذبة ، حتى يكون العمل خالصا لله .  
يتطلب الايمان من الاغنياء القادرين من المسلمين أن يطهروا أموالهم

بالتقيام بالاعمال الخيرية ، كانشاء مدرسة لتعليم ابناء الفقراء ، أو مسجد لاقامة شعائر الله أو وحدة علاجية لعلاج المرضى ، أو دار كتب صغيرة ليقضى فيها الطلبة بعض اوقات فراغهم فى القراءة والبحث والاطلاع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له . »

وبالايمان بالله انتصر المسلمون الاول ، وسادوا العالم ، ونشروا الحضارة الاسلامية ، والعظمة الاسلامية ، فى البلاد التى اعتنقت الاسلام . وكان لهذه الحضارة اثر كبير فى تقدم العالم ونهضته . ولم يتأخر المسلمون فى العصور الاخيرة الا لانهم خالفوا المثل العليا فى الاسلام ، فوهنوا وضعفوا وتحكم الاستعمار فيهم ، واستغل بلادهم ، ونهب خيراتها لمصلحته . واتخذ كل الوسائل الاستعمارية لنشر الجهل والفقر والمرض والتفريق فيها ، كى يستمروا ضعفاء ، وتستمر سيطرته عليهم .

ولا نبالغ اذا قلنا ان البلاد الاسلامية كانت بلاد العلم والعلماء ، والادب والادباء ، وموئل الحضارة التى لم تعرفها اوروبا الا عن طريق العرب فى الأندلس .

### كيف يستعيد المسلمون مجدهم الماضى ؟

ولكى يستعيد المسلمون مجدهم الماضى وعظمتهم السالفة ، يجب ان يتمسكوا بروح الاسلام ، ومبادئه المثالية ، وأخلاقه العالية ، ويعودوا الى ايمانهم القوى بالله ويكونوا يدا واحدة ، ووحدة قوية متماسكة متعاونة ، ضد المستعمرين والمعتدين ، ويتركوا المظاهر الكاذبة ، ويدافعوا عن بلادهم متحدين بقلوبهم واعمالهم ، ويتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق ، والرياء والنفاق ، والجرى وراء الحكم والجاه والسلطان ، عندئذ سينتصرون على الاعداء الباغين . ولن يستطيع الاستعمار ان يقف فى سبيلهم ، مهما تكن عدده وأسلحته . وسيكون النصر حليفهم ، كما كان حليفا لاجدادهم من المؤمنين السابقين الأولين .

- |  |                                   |
|--|-----------------------------------|
| (١) الشملة : كساء يتلف به .                | (١٦) من الكلام وغيره .            |
| (٢) نفرت : أسرع .                          | (١٧) مؤدون .                      |
| (٣) حاشو : أتوا به .                       | (١٨) عن الحرام .                  |
| (٤) قننا : خليقا وجديرا .                  | (١٩) أى السراى .                  |
| (٥) فى جنب المشركين .                      | (٢٠) المتجاوزون الى ما لا يحل لهم |
| (٦) وتبارزهم .                             | (٢١) حافظون .                     |
| (٧) تستعين .                               | (٢٢) نفر من بنى آسد .             |
| (٨) انقاذ ومعونة ونصر .                    | (٢٣) صدقنا بقلوبنا .              |
| (٩) أجله .                                 | (٢٤) أنقذنا ظاهرا .               |
| (١٠) الطوبى : الخير والحسنى .              | (٢٥) لا ينقصكم .                  |
| (١١) غلباء اتقياء صابرون كثيرون .          | (٢٦) الصادقون فى ايمانهم .        |
| (١٢) ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل .     | (٢٧) لم يشكوا فى الايمان .        |
| هيات ، أى لوقعت ابادتهم لنا منذ زمن بعيد . | (٢٨) خافت .                       |
| (١٣) كسرت وهزمت .                          | (٢٩) به يقون ، لا بغيره .         |
| (١٤) غذائه .                               | (٣٠) فى طاعة الله .               |
| (١٥) متواضعون .                            |                                   |

# الاستدلال والربا

للاستاذ محمد عبد الرحيم السمان

كثرت في الآونة الأخيرة الأحاديث والأقوال حول الربا وهل هناك ربا محرم وربا غير محرم ، وهل الحرام هو الأضعاف المضاعفة والحلال غيره ؟! وهل فوائد البنوك تعتبر ربا لا يجوز أخذه أم هي الربح الحلال تتمتع فيه ؟! وظهرت آراء كثيرة بهذا الخصوص حتى قال أحدهم عن فوائد البنوك برأى أخذه من الواقع فقال : « هل يقال للمسلم اذا أردت ايداع أموالك في البنك فلا تأخذ عنها أية فائدة بل دع البنك ينفرد بالفائدة دونك ، أهذا هو الحلال أم السفه !! » .

ومنهم من قال ان البنوك أصبحت عماد الاقتصاد والتجارة فلا غنى عنها فان قلنا بتحريم البنوك فمعنى ذلك اغلاقها واضطراب حبل التجارة بل ضرب الاقتصاد أشد الضربات .

وغير هذا كثير ، ولم تظهر مثل هذه الآراء الا بعد أن غزانا الكافر وركز في بلادنا استعمار العسكرى والسياسى والاقتصادى ، وأخيرا وليس آخرا بل هو الأهم الاستعمار الثقافى الذى تغفل في نفوس الكثيرين ودعم هذا الاستعمار بالأوضاع التى أقامها حتى أصبحنا نرى ما وضعه في بلادنا ضرورة قائمة منه نستمد تشريعنا وعليه نبني حياتنا وكأننا لا بد أن نأخذ التشريع من الواقع ونرتضى به ولو كان سيئا ، لا أن نغير الواقع السيئ فنرفعه الى أعلى المستويات بتطبيق ما أنزل الله !! وعلى كل حال لا بد للإجابة على هذه التساؤلات من استعراض الآيات والأحاديث الشريفة المتعلقة بالربا :

ان أول ما نزل بخصوص الربا هي الآية ( ٣٩ من سورة الروم وهي مكية ) فقال تعالى : وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ، فكان هذا تنفيرا من الربا وتحبيبا في الزكاة والصدقات وتهئية للأنفس المؤمنة بأن الربا لا وزن له عند الله سبحانه وتعالى ، ولم تنزل آيات التحريم القطعى الا بعد أن قامت الدولة الاسلامية

فى المدينة المنورة برئاسة سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقر المجتمع الاسلامى فى المدينة فنزلت الآيات فى تحريم الربا منها آية ( ١٣٠ من سورة آل عمران ) ويقول الله تعالى فيها : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

وآيات أخرى فى سورة البقرة من ( ٢٧٥ - ٢٨٠ ) يقول الله تعالى فيها : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقول الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ونظر بعضهم الى آية ربا الأضعاف المضاعفة فأخذوا منها أن الربا نوعان ربا بسيط أجازوه وربا مضاعف هو المحرم فقط وغيره المباح واستندوا الى نقطتين : **الأولى :** أن سورة آل عمران التى فيها آية الربا الأضعاف المضاعفة نزلت بعد سورة البقرة التى فيها : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . فكانت آيات البقرة عن الربا منسوخة بآية آل عمران .

**الثانية :** وهى مرتبطة بالأولى ، وهى انه ما دام النهى منصبا على الربا الأضعاف المضاعفة فمفهوم المخالفة يدل على انه اذا لم يكن الربا أضعافا مضاعفة فلا نهى فيه أى اذا كان قليلا وعلى هذا الأساس أباحوا فوائد البنوك . وبالنظر الدقيق الى الموضوع يتبين انه لا يوجد هناك ربا محرم وآخر غير محرم ، فكل الربا حرام قليله وكثيره ، وأن فوائد البنوك هى الربا بعينه وأن سموها فوائد . وذلك واضح من التحقيق فى مناطق الحكم الشرعى .

وهذا يتبين بالنظر الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وواقع الربا وتعريفه الشرعى ، أما بالنسبة للآيات والنسخ فإن النسخ غير وارد غاية الربا المضاعف وان وصفت نوعا من أنواع الربا الذى كان متبعاً فى ذلك الحين ونهت عنه فهى — أى آية الربا المضاعف — ليست كما يقول بعضهم هى آخر ما نزل بخصوص الربا فالعبارة ليست بترتيب السور بل بنزول الآيات وان آخر آية نزلت فى القرآن الكريم بأكمله لا فى الربا فحسب هى قوله تعالى فى سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا .. » فقد أخرج البخارى عن ابن عباس قال : « آخر آية نزلت الربا » وروى البيهقى عن عمر مثله ، وعند أحمد وابن ماجه عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا ، وعن أبى سعيد الخدرى قال خطبنا عمر فقال : « ان آخر القرآن نزولا آية الربا » .

وبعد التدقيق فى آيات سورة البقرة يتبين قطعية تحريم الربا لقطعية الدلالة

وقطعية الثبوت ولنعش لحظات مع هذه الآيات الكريمة والتي كان تحريم الربا فيها منفصلا أيما تفصيل .

ان القرآن الكريم يعرض لنا صورة لا يحب ذو عقل أن يتصور بها ، فهي صورة بشعة ، صورة أكل الربا الذى يقوم كما يقوم الذى يتخطه الشيطان من المس ، وبعد هذه الصورة البشعة ينتقل الى التحريم بعد أن هيئت النفوس لتقبل ما بعد الصورة البشعة وهو التحريم فقال تعالى بعد ذلك الوصف : « وأحل الله البيع وحرم الربا » والتحريم هنا ورد بصراحة لا لبس فيها ولا تأويل ، فالتحريم كان بلفظ التحريم بذاته وليس بأمر الاجتناب كقوله عن الخمر وغيره ، فاجتنبوه ، أو النهى كتحريم الزنا بقوله : « ولا تقربوا الزنا » ، ثم يأتى القرآن ليعفو عما سلف أى عما سبق نزول هذه الآيات الكريمة : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله » ويتوعد من يعود الى الربا مرة أخرى : « ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وأى عذاب أشد من عذاب التخليد فى النار !! . ثم ينتقل القرآن الى معالجة النفس البشرية وحدها للمال فيطمئنها بأن الربا مهما كثر زائل ولا خير ولا ثواب فيه « يمحى الله الربا » وأما الصدقات والاقراض بالحسنى ففيهما الخير ومن اقترض مرتين فكانما تصدق بمرة واحدة فقال تعالى « ويربى الصدقات » وقال عليه السلام ( ما من مسلم يقترض مسلما قرضا مرتين الا كان كصدقة مرة ) .

اما الآية النهائية القطعية وآخر ما نزل فى الربا وفيها الأمر الجازم بترك ما بقى من الربا ، ويأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتقوى فيقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » ، ومن صفات المؤمنين اتباع أوامر الله ومن شذ وعصى وأخذته العزة بالاثم فأبى فليأتن بحرب من الله ورسوله تلك الحرب التى لن تتساوى فيها القوى بشيء بل من يقوى على تصور نفسه يقف فى حرب أمام الله ورسوله !!! ولا بد أن تأخذ هذه الآيات مأخذها من نفوس المؤمنين الذين سيكونون عن التعامل بالربا بل لا بد عند التوبة من إعادة ما زاد عن رأس المال لأصحابه : « وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » ، لا يظلمون الناس بأخذهم الزيادة عن رأس المال قلت أم كثرت ولا يظلمون بانقاص رؤوس أموالهم مهما كان الانقاص قليلا أو كثيرا ثم يخلص القرآن الى الخلق الاسلامى المتسامح « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وقال عليه السلام : « من فرج عن مسلم كريها فرج الله عنه كريها من كرب يوم القيامة » .

ويجب القرآن الى النفس المسامحة لمن أرهاقتهم الديون وقد لا يستطيعون السداد الا على حساب لقمة العيش فيعدهم بالخير وجعل الخير عاما غير مخصص فتتشوق النفس للتطلع الى المجهول وهو الخير الذى لا بد أن يكون ممن بيده الخير خيرا كثيرا فقال تعالى : « وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

أما بالنسبة للحديث فقد قال عليه السلام : « الذهب بالذهب تبره وعينه وزنا بوزن والفضة بالفضة تبره وعينه وزنا بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبزير بالبزير والشعير بالشعير كيلا بكيل فمن زاد أو ازداد فقد أربى » .

وقال : « الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل والتمر بالتمر مثلا بمثل والبزير بالبزير مثلا بمثل والملح بالملح مثلا بمثل والشعير بالشعير مثلا بمثل » .

فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد ، وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد وبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » .  
 وقد عرف الفقهاء الربا من هذه الأدلة الشرعية بأنه :  
 « أخذ مال بمال من جنس واحد متفاضلين » .

وواضح من الأحاديث الشريفة أن الذهب بالذهب وزنا بوزن ومثلا بمثل وكذلك الفضة . . . . ( الحديث ) فمن زاد أو ازداد فقد أربى وواضح ؟ من الآية الكريمة : « وان تبتم فلکم رؤوس أموالکم » وواضح من تعريف الربا أنه المتفاضل .  
 ومن هذا كله نخلص الى نتيجة أن الربا محرم قطعاً بلا أدنى شك قليله وكثيره وأن غائدة البنوك هي نوع من أنواع الربا ، وأنه مما لا شك فيه أن البنوك لم تكن موجودة في العصور الإسلامية فلم يكن هناك رأى واضح فيها ( وهى غير موجودة ) ولكن النصوص الشرعية واضحة فى أن أية زيادة هي محرمة ، وإثنا نعلم أنه لا مسأغ للاجتهاد فى مورد النص أى أنه ان كان هناك نص صريح فيها والا فالاجتهاد واجب والاجتهاد معروف انه استفراغ الوسع لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية مما ورد فى الكتاب والسنة ، وأن أولئك المجتهدين العظام لم يحددوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة فى جميع ما أتوا به ولم يأتوا برأى الا وادعوه بدليل شرعى من الكتاب والسنة ، ولا يكفى فى الاجتهاد الاتيان بالرأى المجرد دون الرجوع الى الأدلة التى هي شرط أن يكون الاجتهاد منها فبدون الدليل لا يحق لنا أن نخرج بنتيجة .

أما من حيث القواعد الشرعية وواقع الربا فان القاعدة الشرعية التى تقول « الغرم بالغنم » يتعارض معها ربا البنوك اذ يتعرض المال المودع فى البنوك لجانب واحد وهو الربح دون الخسارة وهذا هو الفرق بين الربا والربح ، ولا يقال ان الأموال هذه الأيام ليست ذهباً ولا فضة وانما أوراقاً نائبية ، والحقيقة انها مقومة بالذهب وقادرة على شرائه بقيمتها الشرائية فلا فرق بين الورق النائب والذهب فأيسنة زيادة هنا أو هناك هي الربا .

أما القول : هل نترك البنك ينفرد وحده بالفائدة !! وهل نستغنى عن البنوك واصبحت عماد الاقتصاد ؟! فالجواب على هاتين النقطتين يكون فيما يلى :

أولاً : لنبحث هل يجوز ايداع الأموال أى ادخارها فى البنوك أو فى غيرها أصلاً أم لا يجوز ؟! ومتى يجوز ان جاز ؟! « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فيبشروهم بعذاب اليم . . » الآية ، وفى الآية وعيدان وعيد لمن لا ينفقون فى الجهاد وعيد لمن يكتزون . والكنز المقصود فى الآية الكريمة هو جمع المال لغير ما حاجة ، فقد أباح الشرع الادخار وهو جمع المال بعضه فوق بعض لحاجة كالزواج أو بناء بيت أو لأداء غريضة الحج . . أما جمع المال لمجرد الكنز فهذا ما حرمه الشرع الشريف وهو الذى يوقف دولاى الحياة الاقتصادية ولا يقال ان البنك يشغل هذه المبالغ المتجمعة لديه فى مشاريع ضخمة لا يمكن للأفراد القيام بها ، فالشركات الشرعية كثيرة وجائزة اذا لم تكن من ضروريات الجماعة ، أما اذا كانت من ضروريات الجماعة فأصلاً لا يجوز للأفراد أو جماعة معينة تملكها



وانما تكون ملكيتها للجماعة وقد بينها الرسول عليه السلام من حيث وصفها لا من حيث عددها فقال : « الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلا والنار » ومع ان هذه الاشياء اسماء جامدة لا يجوز تعديها لغيرها كما يتبادر للذهن ، فقد اباح الرسول عليه السلام فى الطائف وخير للأفراد ان يملكوا الماء عندما لم يكن من مرافق الجماعة ومن هذا يتبين العلة الشرعية وهى كونه من مرافق الجماعة ، وبهذا فكل شئ يعتبر من مرافق الجماعة يعتبر ملكا عاما والجماعة لا تحصر فى الدولة جميعها وانما فى قرية أو مجموعة بيوت .

أما بالنسبة للبنوك وانها قد أصبحت عماد الحياة الاقتصادية أو على الأصح أصبحت جزءا لا ينفصل من الحياة الاقتصادية التى أوجدها بيننا الكافر بتطبيق نظامه الاقتصادى علينا والذي لا نزال نسير بموجبه ، وان الاسلام حين يدعو لتحريم الربا وبالتالى اغلاق البنوك التى تعامل به ، لا يتخذ هذا الاجراء وينتهى الأمر والا لكان كمن يهدم بيتا ليلقى بأهله فى العراء دون أن يبني لهم بيتا غيره والاسلام ما هدم بيتا الا ليبني بدله بيتا متميزا ، فان البنوك القائمة على الربا والتى هى جزء من النظام الرأسمالى الذى يطبق علينا ان الغاءها يحتم تطبيق النظام الاقتصادى فى الاسلام ، والذي يحتم وجود بيت مال المسلمين الذى يسد الحاجات ، فالمحتاج الى الاستقراض أما أن يحتاجه لأجل العيش أو يحتاجه لأجل الزراعة والعمل ، فأما الحاجة الأولى فقد سدها الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية « من ترك كلا فعلينا ومن ترك مالا فلورثته » وأما الحاجة الثانية فقد سدها الاسلام بقرض المحتاج دون ربا وبيت المال يقوم باقراض المال بلا فائدة بعد التحقق من امكانية الانتفاع بالمال ، وقد أعطى عمر بن الخطاب من بيت المال للفلاحين فى العراق أموالا لاستغلال أراضيهم ، والحكم الشرعى أن يعطى الفلاحون من بيت المال ما يتمكنون به من استغلال أراضيهم الى أن تخرج الغلال فان أمحلت طبق الباب الأول وهو كفالة الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية ، أما معاملات البنك التجارية الغير قائمة على الربا فان الاسلام لا يمنحها وتظل قائمة اذ لا يمنع الا التعامل بالربا فقط فتبقى التحويلات والصرف ما سارت حسب الصرف فى الاسلام ، وبهذا يظهر أن تطبيق جزء من الاسلام وترك جزء آخر فوق حرمة لا يفى بالغرض فلا نحرّم الربا فحسب بل لا بد من انقلاب جذرى فى جميع شؤون الحياة والعودة الى الحياة الاسلامية بجميع دقائقها .

• • •

أما من حيث واقع الربا فانه لا يكون الا فى بيع أو قرض أو سلم .  
وهو لا يقع فى البيع والسلم الا فى ستة أشياء فقط : ١- التمر والقمح والشعير والملح والذهب والفضة » .

أما القرض فيقع فى كل شئ فلا يحل اقراض شئ ليرد أكثر أو أقل ولا من نوع آخر أصلا .

والفرق بين البيع والسلم والقرض : ان البيع والسلم يكونان من نسوع بنوع آخر وفى نوع بنوعه أما القرض فلا يكون الا فى نوع بنوعه .

أما كون الربا فى الستة أنواع فقط فى البيع والسلم فذلك لقوله عليه السلام : « الذهب بالذهب مثلاً بمثل والفضة بالفضة مثلاً بمثل ، والتمر بالتمر مثلاً بمثل ، والبر بالبر مثلاً بمثل والملح بالملح مثلاً بمثل ، والشعير بالشعير مثلاً بمثل ، فمن زاد أو أزداد فقد أربى ، يبيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد ويبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد ويبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » ولم يرد أى دليل على التحريم فى غير هذه الأنواع الستة ويدخل فيها كل ما هو من جنسها وينطبق عليه وصفها ، وأما ما عداها فلا يحل .

أما تعليل التحريم فيما أنه لم يرد فلا يعلل أما قياس العلة فغير وارد لأنه يشترط فى قياس العلة أن يكون الشيء الذى اعتبر علة (وصفاً مفهماً) حتى يصح القياس عليه فإن لم يكن كذلك بأن كان اسماً جامداً أو وصفاً غير مفهم فلا يصلح أن يكون علة ولا يقاس عليه غيره كقوله تعالى ( حرمت عليكم الميتة .. ) فلفظ الميتة ليس وصفاً مفهماً للتحريم فلا يقاس عليه فينحصر التحريم بالميتة ولا يقال حرم الربا فى التمتع لأنه مطعوم إذ هو ليس وصفاً مفهماً فلا يعتبر علة للتحريم ولا يقاس عليه ، أما قوله عليه السلام « لا تباع الصبرة من الطعام بالصبرة من الطعام ولا الصبرة من الطعام بالكيل من الطعام المسمى » فإن ذلك لا يدل على أن علة التحريم الطعام وإنما يدل على أن الربا يحصل فى الطعام وجاء حديث الرسول ليخصص أنواع الطعام التى يحصل فيها الربا ( الذهب بالذهب .. الحديث ) والدليل على أن هناك أطعمة كثيرة لا يحصل فيها الربا مع أنها من الطعام كالخضروات مثل الجزر والفلفل .. الخ . وعلى هذا فالربا لا يقع فى البيع والسلم الا فى هذه الأشياء وكذلك لا يقال حرم الربا فى الذهب والفضة لأنهما موزونان فتجعل علة تحريم الربا الموزون ولا فى التمتع والشعير لأنهما مكيلان فالوزن والكيل جاء فى الحديث وصفاً لا علة قال عليه السلام « الذهب بالذهب تبره وعينه وزناً بوزن ، والفضة بالفضة تبره وعينه وزناً بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبر بالبر والشعير بالشعير كيلاً بكيل فمن زاد أو أزداد فقد أربى » .

أما القرض فيه ربا فى الأشياء الستة وما عداها وفيه وجه واحد فقط وهو اشتراط أكثر مما اقترض أو أقل مما اقترض أو أدنى أى ( أردأ جنساً ) .

فماذابقى بعد هذا لإباحة ربا البنوك أو غيرها ، وأى دليل لها يبيحها ، وقد جاءت الآيات والأحاديث شاملة لا مجال فيها ؟ بل لقد وضع الفقهاء بالإضافة الى رد المال الزائد عن رأس المال لأصحابه وضعوا غقوبة التعزير لأكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه بالجلد والحبس حتى سنتين غالباً حرام وفوائد البنوك ربا لأنها زيادة مشروطة فى المال ومن أكلها فليأذن بحرب من الله ورسوله وقتنا الله والمسلمين من الوقوف فى ذلك الموقف وأعانتنا والمسلمين على فهم اسلامنا واستئناف تطبيقه فى الحياة .

# الفكر التشريعي الإسلامي

## المصاحبة ٢

للشيخ عيسى الخفيف

بيننا فيما سبق أن الفقه الإسلامي ، أو الفكر التشريعي الإسلامي يستهدف مصلحة الأمة ، أو مصلحة المجتمع ، وذلك بمراعاته كل ما يحفظ عليه وحدته وتماسكه ويحقق له أهدافه ويصون علاقات أفراده من الوهن والتفكك ، ويوفر لهم الاستقرار والسلام ويهيئ لهم بالأمن فرص العمل والرخاء فما كان فيه المصلحة له فهو محل طلبه ، وما كان فيه المضره له فهو محل نهيه ، وإن هذا أمر أجمع عليه فقهاء المسلمين ، وأثبتته استقراء الاحكام فلم يلاحظ فيها حكم ضار بالأمة أو يزيد ضرره على نفعه ، وما من حكم جاء به الا كان نفعه اكبر من ضرره .

وكل هذا لم يكن محل خلاف ولا مجال نزاع ، وإذا كان خلاف فهو خلاف في النظر أو التطبيق ومن أجل ذلك اتخذت المصلحة دليلا من أدلة الحكم وأمانة عليه ، واقتضى ذلك بيان المراد منها وكان بيانها وتحديدها بيانا وتحديدا للفكر الإسلامي واتجاهه .

وقد جاء في التعريف بها ، أنها ما يتحقق به مقصود الشارع من المحافظة على الضروريات والحاجيات والتحسينات التي أشرنا إليها فيما سبق ، ومن ذهب الى ذلك الغزالي في المستصفى .

وكذلك عرفت بأنها ما يتحقق به مقصود الشارع ، وهو دفع المفسد  
عن الخلق ، ولا يكاد يختلف هذا التعريف عن سابقه . إذ أن دفع المفسد  
يتحقق بالمحافظة على الضروريات السابقة .

على أن محاولة تعريفها على هذا الوضع ليس بالأمر ذى البال ، إذ  
أنها من الواضح بحيث تستغنى عن التعريف ، فالمصلحة مفعلة من الصلاح  
وهي تكون كذلك إذا تجردت عن المفسدة ، أو كان نفعها أكبر من فسادها ،  
وليس المراد بها كما أشرنا أن تكون فردية بل المراد منها أن تكون مصلحة  
كلية ظنية ظنا راجحا على الأقل ، غير معارضة بما يذهب بنفعها وليسست  
اتباعا لهوى أو انقيادا للشهوة ، دون مراعاة لدلالة الأدلة ووزنها أمرة كانت  
أم ناهية ، فإن الشارع لا يأذن إلا بما هو مصلحة ، ولا ينهى إلا عما هو  
مفسدة ، وفى طاقة العقل البشرى أن يدرك أوجه المصلحة فى شئون الدنيا  
فيحصلها بأمر الشارع ، وإن لم يرد بها نص صريح خاص بها ، لأن الأوامر  
العامّة ، واستقراء الأحكام تدل على أن أحكام الشريعة فى كلياتها وجزئياتها  
تتجه الى جلب المصالح ودفع المفسد ، ولذا عمل بها الصحابة والتابعون  
والأئمة المجتهدون ، وجعلوها أصلا من أصول استنباط الأحكام دون انكار  
عليهم كما حدث من أبى بكر وعمر فى الاستخلاف ، وفيما ذهب اليه عمر من  
قتل الجماعة بالواحد وتدوينه الدواوين ، وإشارته على أبى بكر بجمع  
القرآن ، ومقاسمته ولأبيه فى أموالهم التى اكتسبوها بجاه السلطة ، وفيما  
قرره أيضا من توظيف الخراج على من تركت الأرض المفتوحة فى أيديهم من  
الذميين ، وكما فعل عثمان فى حمل الناس على قراءة واحدة ، وكما فعل  
على فى تضمين الصناع وفيما ذهب اليه الفقهاء من فرض الضرائب على  
المسلمين القادرين عند الحاجة وضعف بيت المال ، ومن جواز اتلاف ما يقاتل  
عليه الأعداء من الحيوان ، وقتل من يتترس به الكفار من المسلمين ، ونفى  
أهل الفساد الى بلد يؤمن فيه شرهم ، وتفضيل أحد الأولاد بالعطية لمصلحة  
معينة كأن يكون مريضا أو محتاجا صاحب عيال ، وإكراه المحتكرين على  
بيع أموالهم بالقيمة ، وإجبار ذوى الصناعات عند الحاجة على العمل بأجر  
المثل ، الى غير ذلك من الأحكام الاجتهادية التى ملئت بها كتب الفقه ففى  
المذاهب المختلفة وليس يعارض ذلك ما تضمنته كتب الأصول من انكار لبعض  
العلماء ، فإنهم إنما أنكروا متابعة الهوى وتحكيم الشهوة ، كما يدل على ذلك  
صنيعهم فى بعض ما أثر من أحكامهم فى كثير من المسائل المليئة بها كتب  
المذاهب على اختلافها ، إذ بنوا الحكم فيها على مراعاة المصلحة حين أعياهم  
أن يعثروا فيها على نص .

وانه لمن الأمور المقطوع بها أن الشريعة راعت مصالح العباد ولم  
تشرع من الأحكام إلا ما يوصل اليها ، وأن ذلك أمر استوجبه تعذر استيعاب  
النصوص لجميع الحوادث والوقائع لعدم تنافها فكان لا بد من الالتجاء الى  
أصل صالح للتطبيق فى كل عصر وبيئة ، وهو الأمر بمراعاة مصالح الخلق  
وذلك ما أشارت اليه نصوص الشريعة ، ودل عليه مسلكها فى تشريع  
الأحكام ، ونظرها الى دعائم المعيشة وأسس الحياة ، وعناصر العمران حين  
بنت عليه أحكامها ، وأسست عليه قواعدها .

وبيتين مما تقدم أن المصلحة التى استهدفها الشارع من شرعه هى  
المصلحة الجماعية كما نص على ذلك الغزالى .

أما المصلحة الفردية فليس لها اعتبار الا حيث لا تتعارض مع مصلحة الجماعة ، أو تكون وسيلة الى مصلحة الجماعة ، وذلك ما يقتضيه الأمر بالعدل والاحسان فى قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... الآية » ، وما يوحى اليه قوله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » .

فليس من الاحسان اهمال مصلحة المجتمع فى سبيل المحافظة على مصلحة الفرد ، وليس يترتب على ترك مصلحة المجتمع واغفالها الا فساد وانحلاله ، والله لا يحب المفسدين ، ثم لا يعد هذا الا أمرا تعده العقول السليمة منكرا لا خير فيه والله يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ولا يعد الاقدام على مثل هذا الا من قبيل الشج ، وذلك لما فيه من الاثرة المذمومة وقد ذم الله سبحانه وتعالى فى قوله : « وأحضرت الأنفس الشح » ويؤيد ذلك ما فعله كل من عمر وعثمان رضى الله عنهما دون انكار من الصحابة عليهما حين مضاق المسجد الحرام فى عهدهما ، فقد أرادا شراء بعض ما يحيط به من الدور لادخاله فى المسجد توسعة له فأبى عليهما بعض اصحابها لحاجتهم اليها ، فأخذاه جبرا عنهم بقيمتيه ، ولم يابها باعتراضهم وتمسكهم بحقهم ومصلحتهم ، تقديمها للمصلحة العامة واثيرا لها على غيرها . وهكذا كانت المصلحة العامة هدفا للتشريع الاسلامى ، وهذا ما يصور لنا الفكر الاسلامى التشريعى ، فكرا موحد الهدف متعدد النوع والموضوع ، مختلف الأثر .

وجملة القول أن الفكر الاسلامى التشريعى يصوره لنا ويمثله نظر الشارع الى ما تقوم به الحياة ويؤسس عليه العمران وتنظم به مصالح الخلق وترغه به معيشتهم ومن ذلك نظره الى ما يأتى :

#### أولا : نظره الى ارادة الانسان واختياره ، وما له من حقوق .

يقيد الاسلام ارادة الانسان واختياره وحقوقه بما لا يجعل لهواه ولا شهواته سلطانا على ارادته ، وتحكما فى اختياره ، وبما لا يجعل لحقوقه طفيانا على حقوق غيره ، ذلك أن للانسان غرائز تتحكم فى ارادته ، وعقلا ينازع ارادته ويعارض هواه ويحاول صده ، وتقيد ارادته حين تتحكم فيه الغرائز ويغلب عليه الهوى لكيلا يتعدى ما تتطلبه الحياة الراضية الحكيمة ، فلا يتجاوز حدود الحق والخير ، غير أن العقل لا يكتب له الظفر فى هذا المعرك الا قليلا ، لما للغرائز من قوة تظاهرها فيها الشهوات ، فيضعف العقل أمامها . ولما ينتاب العقل فى كثير من الاحوال من تردد عند حكه تبعاً لاختلاف البيئات والظروف مما يشبه عليه الامور فيعجز عن التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر ، ولذا كان لا بد له من هاد يهديه السبيل ويمنحه القوة على كبت الغرائز والانتصار عليها وهو وحى السماء ، وما جاء به من هداية وارشاد وبيان لمعنى الحرية المنشودة النابعة من الحكمة الكفيلة باسعاد المجتمع ، المتلاقية مع الحق والعدل والخير ، المانعة من الاثرة والطفيان .

لقد جاعنا الاسلام بشريعة اقامها على الهدى الذى يكفل الحرية لجميع الناس ، ويطلق ارادتهم واختيارهم بلا طفيان لارادة أحد على ارادة أحد آخر ، وبحيث لا يصادم ذلك منهم الحق والعدل ، وبحيث تكون ارادة كل منهم موجهة الى ما فيه الخير والنفع له ولأسرته ولجتمعه وتلك هى الرحمة

أو أثر الرحمة التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ودل عليها قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » أى رحمة للناس جميعا بما غرضته من مساواة وما اقامته من عدل وما اشاعته من خير ، وما أمرت به من صلاح ، وما نهت عنه من ظلم وفساد وما حضت عليه من تعاون ووحدة وكل هذه أمور تحقق معنى الرحمة التي جاءت بها تلك الرسالة ، ولا يتم التراحم فيها بين الناس إلا بها ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينزع الرحمة إلا من شقى . ويقول : ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء .

ولقد قال له قائل : انا لنرحم أزواجنا ، وذرياتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا أريد ، انها أريد الرحمة بالكافة . والرحمة بالكافة ليست بدفع الفساد عنهم ، ولذا كانت المصلحة العامة الشاملة هى غاية الشريعة وكان كل أمر فيه مصلحة عامة أو كانت منفعتها أكبر من ضرره مطلوباً لها ، وكل أمر فيه مفسدة أو كانت مفسدته أكبر من منفعتها منهيها عنه ، ولذا قال ابن قيم الجوزية : « اذا تأملت شرائع الله التي وضعها لعباده وجدها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة ، واذا تراحمت قدم أهمها وأجلها وان غات أدناها ، كما لا تخرج عن تعطيل المفسدات الخالصة ، أو الراجحة بحسب الإمكان ، وان تراحمت عطل أعظمها فسادا يتحمل أدناها ، وعلى هذا وضع الشارع الحكيم شرائع دينه ، وهذا ما لا يستريب فيه من له ذوق الشريعة وارتضاع من ثديها وورود من صفو حوضها » (١) .

ومن هذا يبين أن الشارع الإسلامى انها شرع شريعته فجعلها رحمة للناس ، وأن هدفه منها مصالحهم ، وقد اتفقت كلمة جميع العلماء على أنها انها شرعت لهذه الغاية السامية ، سواء منها ما صرح به النصوص ، وما عرفت بواسطة العقل ، وأن ما قد تغيب من هذه الأحكام عند النظر حكمته ، فذلك أنها يكون عندما يحجبها عن العقل نوازع الأهواء ، ودوافع الشهوات وقد دل على ذلك أنها كلها من عند الله — أن الحكم إلا لله — وأنه هو الحكيم العادل العليم ، وأنه لا يأمر إلا بالعدل والاحسان وليس من الاحسان ولا من العدل أمر الناس بالفساد والضرر ، واذا ما لوحظ أن فى حكم من الأحكام مضره ، فذلك لأنه قل أن يوجد الخير المحض ، كما يقتل أن يوجد الشر المحض ، ولذلك كانت الموازنة بين منافع الحكم ومضاره هى أساس طلبه ، أو منعه ، ولاختلاف الناس واختلاف البيئات والظروف تأثير فيها من ناحية ترجيح المنافع والمضار ، وذلك لاختلاف المصالح بحسب اختلاف الناس ، وعلى هذا الأساس شرعت الحقوق مقيدة بعدم الضرر ، وكان للإنسان ارادته واختياره على هذا الوضع ، فلم يكن طليقا طيعا لهواه ، متابعاً لشهواته فى أى حق من حقوقه ، ولا فى أى تصرف يتصرفه ، ولا غيماً أبيع له من المباحات ، والانتفاع بها ، بل كان كل ذلك مقيدا بهذا النظر وقائماً على هذا الأصل ، فإذا ما تجاوز الإنسان به دائرة هذا الأصل ، وخرج به غير ه ، ووجب بحكم الشريعة أن يحال بينه وبين ما قصد اليه من ذلك ، عن اطاره وتعدى حدوده انقلب استعمالها طغيانا وظلماً وتعدياً على الزم بتعويض ما ترتب على تعديه هذا من ضرر .

وجملة القول أن النظر الإسلامى يقضى بتقييد كل الحقوق وطرائق الانتفاع بها بعدم معارضتها للحق والعدل ، وبعدم تأديتها الى الضرر ، ولو كان ضرراً لاحقاً بصاحبها ، ولذا نهى الشارع عن الاسراف فى الأكل والشرب

فقال : « فكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ونهى عن التبذير فقتل : « ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » ونهى عن القتر « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وهكذا .

ذلك هو نظر الاسلام وفكره التشريعى فى مجال بيان الحقوق واستعمالها ، وفيها للأشخاص من حرية وإرادة واختيار عند مزاولة نشاطهم المالى والاجتماعى ، بل والسياسى ، نظر يقوم على التقيد بما يحقق المصلحة ولا ينافيها ولا يصادمها ، لا الاطلاق الذى ينحرف بالناس الى ما فيه فساد أمرهم والطفیان على غيرهم ، وانحلال مجتمعهم ، وهو نظر استوجبه أغراض التشريع وأهدافه .

### ثانيا : نظره الى المال والملك :

يقرر الاسلام ان جميع ما فى الكون ملك لله تعالى « له ما فى السموات وما فى الأرض » (٢) ، « ولله ملك السموات والأرض وما بينهما » (٣) « قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله » (٤) ، وهذه الملكية تقوم على الخلق والتسلط والتسخير وهى ملكية لا تنتهى بنهاية ولا يغير من وضعها أى تصرف ولا أية حيازة .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما على سطح الأرض للإنسان ، لتكون له منافعه وثمراته ، فكانت مباحة لجميع الناس لكل انسان منها حاجته ، ( خلق لكم ما فى الأرض جميعا ) ، وكان للإنسان أن ينفع بذلك فى النطاق الذى يحقق العدالة والمساواة فى الإباحة ، ويحدده نواويس العمران ومتطلبات الاجتماع وكأن الخروج من هذه الدائرة محذور ، ولم يكن لأحد فى الناس اختصاص بشيء الا بما تسبق اليه يده ، ويستولى عليه ابتداء بداعى حاجته اليه واتجاه رغبته نحوه لادخاره خوفا من نفاذه أو عدم وجوده عند الطلب .

ولما كانت رغبات الناس غير محدودة نشأ عن ذلك التزاحم ، وظهرت غرائز الإنسان فى حب الاستيلاء والاقتناء والاستبداد وكان ذلك أساس ما يسمى أخيرا بالملك أو التملك ، وقويت هذه الغريزة فيه بسبب ما جبل عليه من حب التغلب والتسلط ، وأصبح لها من القوة على إرادة الإنسان ما تتلاشى معه مقاومته ، وما يحمله على ما هو محذور عليه ، من طغيان على غيره ، باستيلائه على ما سبقت اليه يده أو حصوله على ما يستطيع مما هو فوق حاجته ، أو على استئثاره بالمال استئثارا يترتب عليه حرمان غيره وهو مثله صاحب حق فيه ، بحكم الإباحة العامة .

لهذا اتجه الاسلام الى الحد منها ، والتحذير من عاقبتها ، والترغيب عنها بما هو خير للإنسان من مطاوعتها ، وذلك فى قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

فوصفها بأنها متاع الحياة الدنيا ، وهو ذلك المتاع الزائل الفانى ، ودعا الى الاستعاضة عنها بما هو أفضل وخير بقوله : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله » ، وأن ذلك جزاء من اتقى فأنصرفت نفسه

عن ذلك المتاع الذى يطفى ويوقع صاحبه فيما لا يصلح عليه أمر الناس .  
والاسلام كما أسند ملك جميع ما على الأرض من أموال ومتاع لله  
تعالى ، جعل منافعه للناس جميعا ، فأشركهم فيها ، وجعل الخلافة عليها  
للإنسان ، ليقوم بتدبير أمورها على وفق ما شرع من أحكام ، وما أراد لها  
من صلاح ، وأمر بالانفاق على الفقراء وأصحاب الحاجات ، وجعلهم أصحاب  
حقوق فيها .

فقال : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وقال : « وأنفقوا مما  
جعلكم مستخلفين فيه » ، وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » ، ورفع  
بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيها آتاكم أن ربك سريع العقاب وأنه  
لغفور رحيم » ، وقال : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى  
الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، وقال : « وفى أموالهم حق  
معلوم للسائل والمحروم » .

وبناء على ذلك كان انتفاع الناس بالمال كما أشرنا انتفاعا مشتركاً  
مباحاً لهم ، لكل منهم حق فيه ، وكان كل فرد على هذا الأساس إذا ما عمل  
عاملاً فى مال الجماعة بالنظر الى اشتراكهم فيه ، وفى مال الله بالنظر الى  
أنه ملك له تعالى ، وكان عليه وقد كلفه الله بالقيام عليه والعمل فيه لأجلهم  
أن يعمل فى نطاق ارادته ومواهبه وقدراته « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم  
ورسوله والمؤمنون » ، وكان سلطانه فى عمله وولايته عليه ممتداً ومتسعاً  
بامتداد مواهبه واتساع قدراته ، وكانت ثمرة عمله بحكم ذلك ثمرة لعمل  
قام به فى مال الله الذى جعل منافعه للجماعة فكان واجبا عليه فيه أن يكون  
عندما حد له من حدود ، والا يتعدى بأعماله حدود خلافته موجها عمله الى  
الخير صارفا ثمراته فى وجوه صرفها ، وأن يمينه بالطرق المشروعة التى  
لا ضرر فيها لأحد .

وبناء على ذلك يبين أن ملكية الأموال إنما تتمثل فى حق الانتفاع بها ،  
على الوجه الذى يقيد به الشارع وحق الولاية عليها بالتصرف والتنمية  
والاختيار فى وسائل الإنماء والتحصيل وذلك بالالتزام المشروع منها ، وهو ما  
يجنبه الأضرار بنفسه وبغيره ، ويحفظ عليه كرامته ، كما وجب عليه بحكم  
خلافته فى هذا المال عن الشارع أن يكون مسلكه فى التصرف فيه وفى  
انفاقه سواء على نفسه أو على غيره وفقاً لما أمر به الشارع وندب اليه ،  
وتلك نتيجة طبيعية لثبوت الملك لله تعالى وخلافة الإنسان عنه فيه .

وجملة القول أن المال فى نظر الاسلام ضرورى للحياة البشرية ودعمته  
فى وجود المجتمع ، وبه قيامه وبه حياة الإنسان وبقاؤه ، وأن سعى الإنسان  
الى تحصيله واقتنائه إنما هو بحكم فطرته وغريزته ، لأن فيه رزقه وسد  
حاجته ، ونظام أمره ، وقد جعلت منافعه وثمراته له فأبىح الانتفاع به  
لجميع أفرادها ، وأن الملك فيه لله سبحانه وتعالى بحكم أنه خالقه ، وخالق  
كل شئ ، فكان كل شئ له ، وقد جعل الخلافة عليه للإنسان فكان المال  
فى يده وديعة وأمانة يجب أن يحافظ عليه من العبث والتبديد والضياع ،  
وليس له فيه إلا أن يقوم عليه خلافة من مالكة الذى جعل له فيه حق الانتفاع  
مقيدا بها شرع من أحكام أريد بها حفظه وبقاؤه وتنميته وتوجيهه للغرض  
السامى الذى لأجله خلق ، وهو صلاح المجتمع وسعادته ، وفى الحدود  
التي دلت عليها أوامره ونواهيه ، المحققة لعدالة توزيعه ، وحسن انفاقه ،  
وسداد التصرف فيه ، والوفاء بما للناس فيه من حقوق ، والحيولة دون



الاغتنان به ، واتخاذها أداة تسخير وطغيان واستعباد ومصدر اغراء ، وتكبر وخيلاء وعيب بالحقوق ، ووسيلة انحراف فى السلوك ، وافساد فى الأرض واهدار للكرامة — يقول الله تعالى : « واعلموا أنها أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » ، ويقول « أنها الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » ، ويقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »

ولهذا كانت عناية الشريعة الإسلامية بالمال عناية بالغة فبينت وسائل تحصيله وجمعه وانماؤه ، فبينتها على العمل والتجارة والتعاقد والكسب والصدق والرضا ، وجنبتهما الخداع والفرر والدليس والغش والاكراه والضرر ، وألا يباشر الإنسان منها إلا ما يوصله إلى خير نفسه ابتغاء خير المجتمع ، ولهذا نهت عن اكل أموال الناس بالباطل « يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم » وعن أخذ أموال اليتامى والضعفاء ممن يكونون تحت الولاية أو الوصاية : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا » ، وقال : « ولا تاكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » ، « ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما إنما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقال « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن » .

وحرم الربا لقيامه على استغلال الضعيف وحاجته وحرم تطفيف الكيل والميزان ، كما عني ببيان مصرفه وطرق انفاقه .

وعلى الجملة فقد كان أساس التشريع فى المال مبنيا على اعتبار أنه لله تعالى ، وأن ليس للإنسان فيه الا حق الانتفاع والقيام عليه بطريق الخلافة وعلى ذلك شرعت الاحكام الآتية :

(١) ليس للإنسان الإرادة المطلقة فى التصرف فى المال وتنميته ، بل يجب عليه أن يراعى فى تصرفه الاي يؤدي الى الاضرار بنفسه أو بغيره أو بالجماعة .

(٢) أنه يجب على الإنسان أن يلتزم فى قيامه على المال جميع الحدود التى رسمتها الشريعة الإسلامية فى طرق تحصيله وتنميته وحفظه وصرفه ، بحيث يراعى فى ذلك أولا : **عدم** استغلال الضعف البشرى بأية صورة ما ، وعدم اتخاذ المال وسيلة لاهدار الكرامة أو للتحكم ، **ثانيا** : عدم اكتناز المال والحبولة بينه وبين تداوله للصالح العام ، **ثالثا** : عدم انفاقه فى أى محظور أو فى كل ما من شأنه أن يحط بالفضيلة أو بالخلق ، **رابعا** : عدم الاسراف فى انفاقه ، وعدم التقتير فيه ، وقد قال تعالى : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . **خامسا** : مراعاة مصلحة المجتمع وحقوق أصحاب الحاجة فيه ، وذلك بالتزام حدود الله فيه وفيما دعا اليه من الانفاق فى سبيله .

ذلك هو نظر الاسلام الى المال والى الملكية ، وعلى أسس ذلك جاءت أحكامه وشرائعه الخاصة بشئون المال .

# عَلَّامَةُ الْعَجَائِبِ

للمرحوم الشاعر: محمد الأسدي



ضاق على الضرغام يوما غابه  
فقال للفهد اثر بما ترى  
غمشيا في الأرض حتى وجدا  
وبصرا بالقرد وهو يحكم ..  
منتفخ كالليث وهو قرد  
له بطانة بها الحمار ..  
والبغل فيها الشاعر المقدم  
والبوم للبشرى بكل خير ..  
والصفدع الصدادح والمغنى  
والجرز القائم بالاصلاح ..  
والدب للزمر وقرع الطبل  
رأى الهزبر ما رأى فزأرا  
فقال يا مولاي حق صدق  
ليس الذى ترى من الغرائب

وانقطعت من رزقه أسبابه  
فقال ان الخير في ترك الشرى  
غابا حوى من الوحوش عددا  
يومئذ بالليث ولا يكلم ..  
منفرد بالحكم مستبد ..  
مدخر للرأى مستشار !! ..  
وقنفذ الحجر الكمي المعلم ..  
والبيغاوات لحفظ السر  
والذئب قائم بأمر <sup>من</sup> الأفعى ..  
والهر طاهى اللحم في الأفرج ..  
والفيل للالعاب فوق الحبل !  
وقال للفهد : أحق ما نرى ؟!  
جميع ما يفعل هذا الخلق ..  
فنحن في ملكة العجائب .

# ظَاهِرَةُ الْمَلِكِ

## في المجتمعات المتخلفة

للكثور : وهبة الزحيلي

كثيرا ما يراعى الانسان ، او يمتنع مما يسمعه فى الاذاعات عن رئيسى او قائد او موظف كبير من عبارات الاطراء والثناء ، والاعجاب والمدح المبالغى فيه او المبالغ به مبالغة شديدة منفرة تضخم الأحداث الصغيرة ، او تهول الوقائع النافهة او تمجد البطولات الداخلية البسيطة ، او تصف الأمور دعائيا بغير الحقيقة والواقع .

وفى المناسبات التاريخية او الوطنية تقام الاحتفالات العامة ، فنسمع ما هو امر وادهى ، اذ يقوم الخطباء بتدبيج المديح لرئيس ما ، كما كان الشعراء فى الماضى يمدحون الخليفة او الأمير بغية العطاء والمنح والهيئات ، الا أن الشعراء فى الماضى كان فى شعره يسجل الأحداث العظام والفتوحات الشهيرة ، لأن الشعر كان ديوان العرب فهو بمثابة الصحف السيارة اليوم ، اما خطيب اليوم دبتيا كان او سياسيا فتراه يغالى برصف كلمات رنانة ، وأوصاف طنانة ، وتمجيد خارق للتصور والخيال ، بغية المداينة والمصانعة

والرياء ، فنتشيع من ثنايا خطبته رائحة عفنة : هى رائحة التملق والنفاق وحب الظهور .

ومما يؤسف له أن طبيعة العرب تتأثر ببلاغة الكلمة وفصاحة البيان تاركين استبطان الحقيقة ، وسبر أغوار القضية بعقل واع ، وافق واسع ، ونظر عميق بعيد المدى .

هذا فى الحقل العام ، وكذلك الشأن فى النطاق الخاص ، اذ قد يضم الحضور مجلس من المجالس ، فلا تكاد تسمع فيه الا الاطناب فى مديح شخص حاضر مواجهة ، حتى يتيه غرورا واستعلاء وترفعاً ، فيصبح كالطاووس المتبخر ، وتمتلىء نفسه عجباً وصلفاً وكبراً ، ثم ينطلق من المجلس وقد داخله الشيطان بوساوس عجيبة ، فيزين لنفسه الفساد ، ويروق له الانحراف وظلم العباد .

وهناك فى مجلس آخر عام أو خاص ترى اناساً لا هم لهم الا الحديث عن انفسهم وتاريخهم وبيان افضالهم ومكارمهم ، أو علمهم وأديبهم ، وتجديدهم أو فتحهم فتحاً فكرياً أو ثقافياً ... الخ متجاهلين أنهم فيما يدعون مخادعون أو منخدعون فى غالب الأحيان .

فهل فى صنع كل هؤلاء بمدح الحكام أو الاشخاص أو النفس وجنه مقبول ؟ . وهل هؤلاء المادحون مصيبون أم خاطئون ؟ وهل هناك فى الاسلام ميزان دقيق لمرة ما يقبل من المديح وما يرفض ؟

وهل يمكننا أن نغارن ما نحن عليه الآن بسيرة قادة الاسلام الأوائل وأبطاله الغر الميامين ، أو بما عليه الناس فى المجتمعات المتقدمة فى الغرب أو فى الشرق ؟

الحق يقال : اننا فى كيل المديح جزافاً لآى شخص كان خاطئون عابثون مشوهون لحقائق التاريخ المقبل ، ولسنا فى الاسراف على هذا النحو من الاطراء الا نمثل مظهراً من مظاهر التخلف الذى نعانى منه نحن العرب ، وما أحوجنا الى تقدير ووعى المسئولية العظمى عن امانة الكلمة التى نطلقها بدون حساب !! فهل لعمري يستحق أحد من الناس اليوم تقديراً وثناءً ، وكرامتنا مفعودة ، وعزنا مسلوب فى دنيا العرب والاسلام ؟

أنمدح هذا أو ذاك ، لأنه فتح بيت المقدس ، وطهر المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة من رجس الصهاينة الأوغاد ، أو حطم الغزاة وطرد المحتلين من بقاع شاسعة فسيحة الجنبات ، وجنات وارفة الظلال ، ومهرات خطيرة الاهمية تتدفق بالخيرات !!؟

وما أزهنا بحق عن القاب وأوصاف وهمية اسمية ، كما كان شأن الخلفاء العباسيين فى دور بدء الانحطاط وما يليه حيث استبد التزك بالخلافة حتى صيروها اسمية فى يد الخليفة وفعلية فى أيديهم ، ورضى الخلفاء بالقاب ضخمة لكنها فارغة فى الواقع مثل « ظل الله » والقاهر والمقتدر ونحو ذلك :

الكتاب مملكة فى غير موضعها كالحمر يحكى انتفاخا صولة الأسد

حتى ان الخليفة صار كأنه سجين القصر مما جعل شاعرا يقول فى بعض الخلفاء العباسيين :

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا  
يقول ما قال له كبا تقول الببغا

فمقتضى المدح الحق ان يكون فى انجاز أعمال كبرى ، وآثار بارزة ، وأعمال تعتبر حدثا تاريخيا هاما ، وتضحيات عظيمة ، وفتوحات مبينة يكون لها وقع الصواعق على النفوس ، وعندئذ نترك تقييم الأعمال والمنتجات والانجازات للتاريخ وحده الذى هو شاهد عدل وصدق على البلاد والأشخاص والأمم .

اما تعظيم الأمور الصغيرة أو جعل القيام بالواجب هو الفضيلة والنصر ، فذلك من أهم عوامل التردى والتخلف والهزيمة اذ لم يعد يخفى على أحد تلك المظاهر الخادعة والأقوال المزخرفة والدعايات التى بشم الناس منها ، أو اتخموها بها ، حتى صاروا يتندرون من منجزات بسيطة ، ويسخرون من هول المديح « الفارغ » والثناء « الأجوف » الذى لا رصيد له فى الواقع ، فما أغنانا الآن عن الدعايات الجوفاء أو ما يسمى بحرب الكلام أو حرب الاعصاب لأن الناس سئمو الكلام وملوا من الدعاية ولم يعد يجدى الا العمل البارز ، وإذا قارنا ما نحن عليه بما عند الأمم الراقية المتقدمة علميا وصناعيا وتقنيا لم نجد مثل ذلك المديح الكبير لأعظم رئيس فى العالم ، أو أكبر دولة بين الدول ، أو أجل عالم بين العلماء فى حقل الذرة وغيرها ، بل على العكس من ذلك نجد ضنا شديدا بمنح الألقاب أو اسباغ الصفات ، وهذا هو المستوى المنطقى الصحيح ، لأن اثر السياسى الكبير أو المصلح العظيم أو القائد الفذ ، أو المخترع أو العالم الشهير انما يكمن فى انجازه أو عمله الذى يخلده له التاريخ على ممر العصور .

وكذلك كانت سيرة عظماء الاسلام ، فانهم كانوا أشد الناس زهدا فى الثناء والتعظيم والإطراء ، وإذا تحقق حدث هام أو فتح جليل بواسطة أحدهم ، اعتبره فخرا وعزا لامة الاسلام ، وارغاما لأعداء الله ، ونصرا للقيام بالواجب الأقدس الملقى على عاتق كل انسان ، وتوفيقا من الله العزيز بأجراء الخير والفلاح على يديه ، فعمل المؤمن كله لله وفى سبيل الله بأخلاص .

وكان المسلم الذى يمدحه غيره بمدحة عابرة أو كلمة مشجعة يطلب من الله مزيد الإلهام بالخير وفعل الحسنات ومضاعفة الجهد بتقديم الصالح من الأعمال لنفسه وأمتة ، متأشيا بما علمه رسول الهدى صلوات الله عليه ، قائلا على الفور : « اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » وبذلك لا يغتر بنفسه ، ولا يجمّل

للسيطان سبيلا عليه ، ولا يقف على درب الكفاح ومسيرة النجاة والصلاح .

ورحم الله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى أوصد الباب أمام المداحين من الشعراء ، فلم يجز أعشى بنى تغلب « النعمان بن يحيى » حين جاءه مادحا ، وقال له : « ما أرى للشعراء فى بيت المال حقا » . وكذلك عدالة كل مسلم وتقواه وإيمانه بأن الضار والنافع والمهيك والمرارقي هو الله تعالى تآبى عليه كلها التزلف للناس قادة وأفرادا ، حكما ومحكومين بالمدح والاطراء : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فان الأمور تجرى بالمقادير » وفى ذلك تحقيق للعدالة ، وحث على الاستزادة من الخيرات وفعل المعروف ، وبعد عن الاغترار بالنفس الأمارة بالسوء ، وطلب لمعالى الأمور ، واستشراف لتحقيق غرر الفعال ، والوصول لرفعة الأمجاد ، والتحلّى بأكرم الشيم والخصال .

والمسلم بحق لا ينتظر تقديرا أو يستمنح رضا الا من الله وحده ، فهو الذى يخلد له فى صحائف أعماله ما قام به من خير مقصود لذاته ، لا للرياء ولا من أجل السمعة وإذاعة الصيت والشهرة الضائعة وحينئذ يزهد الانسان بمدح الناس وثنائهم ، لان الناس فى الحقيقة لا فائدة ترجى منهم ، بل ولا ثبات لديهم ، فهم كالدهر متقلبون زائلون يذمون اليوم ما كانوا يمدحونه بالأمس ، بل قد يمدحون الرجل ويذمون فى برهة واحدة . لذلك كان الواجب على الانسان أن يكون الهادى له ميزان دينه ، ورأى ارضاء ضميره الحر المستقل الذى يدعوه فى كل آونة — ان استجاب اليه — لفعل الخير ، والالقاء به فى البحر فان لم يعرفه الناس يعرفه الله كما يقول الحكماء فى الأمثال .

وأخيرا بقى أن نعرف ما هو موقف الاسلام فى نصوصه من حكم المديح لمواجهة أمام الشخص ، أو حكم مدح الانسان نفسه .

الاسلام دين الفطرة والملة الحنيفية السمحة ، وميزان الاعتدال والقصد والتوسط بين الافراط والتفريط ، فالانسان بطبعه يمال الى المدح ، يهتز نشوة وطربا للثناء ، ويتجاوب الاسلام مع هذه النزعة فيبيح المدح بحق للتشجيع ، وضرب الأمثال ، والحث على الاقتداء اذا كان المدح قوى الايمان متزن العقل بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ، فان خيفت الفتنة كره كراهة شديدة وكان الى الحرام أقرب ، وان كان المدح بغير حق كما فى حالة ادعاء الأفعال الحسنة ، كان مذموما وحراما موجبا للعذاب فى السدار الآخرة .

كما يباح للانسان مدح نفسه عند الحاجة الى ذلك بقصد التعريف للتوصل الى مقصد شريف مشروع كعقد زواج أو تولى منصب سياسى أو دينى اذا كان أهلا لذلك .

وهكذا فالاسلام يقرر أولا استحقاق العقاب لمن يدعى اتصافه بأوصاف جميلة وهو منها براء ، وفى القرآن الكريم تحذير شديد للمسلمين بأن يفعلوا مثل هذا الفعل الذى كان يقوم به أهل الكتاب :

« لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويخبون أن يجهدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم » فهؤلاء أهل الكتاب حكموا بغير الحق وحرّفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك فرح اعجاب وأحبوا أن يجهدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام وغير ذلك من الأوصاف الحسنة ، وودوا أن يمدحهم الناس بما هم عراة عنه من الفضائل .

روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة ، فحكموه إياه ، وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم قد صدقوه واستشهدوا إليه ، وفرحوا بما فعلوا ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، وسلاه بما أنزل من وعيدهم » أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ، ويحبون أن تمدحهم بما لم يفعلوا من أخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب .

هذا سبب نزول هذه الآية ، وقد علق الألوسى على كلام ابن عباس جبر الأمة وترجمان القرآن فقال : « ولا يلزم من كلام الحبر على هذا عدم حرمة الفرع ، فرح اعجاب وحب الحمد بما لم يفعل بالجرة ، بل قصارى ما يلزم منه عدم كون ذلك مفاد الآية — كما قيل — وهو لا يستلزم عدم كونه مفاد شىء أصلا ليكون ذلك قولاً بعدم الحرمة ، كيف وكثير من النصوص ناطق بحرمة ذلك حتى عده البعض من الكبائر » وقال ابن كثير « ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء — أى أن الآية فى المنافقين — لأنها عامة فى جميع ما ذكر » .

وثانياً — يحرم الإسلام المدح مطلقاً سواء فى حضور الإنسان أم فى غيبته إذا كان فيه مبالغة وغلو بحيث يجازف المدح ويدخل فى الكذب وهذا التحريم بسبب الكذب ، لا لكونه مدحاً . .

ومن أمثلة المبالغة فى المديح وصف شاعر للرشد بقوله :

واخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التى لم تخلق

ومما لا يقبل من المديح الإبتاويل وتكلف ظاهر بيت فى بردة البوصيرى مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا البيت يوهم اللبس والشك الذى لم يكن البوصيرى رحمه الله قاصداً إليه ، لذلك فعلاً لسنا مع أولئك الذين شنعوا عليه واتهموه بالشرك لأن قصده تهجيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدير ما أثر عنه فى حدود الشرع مريداً بذلك أن من خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس ، ومن خير الآخرة ضرة الدنيا : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى الناس ، ومن علومه عليه السلام المعلومات التى أطلع الله عليها وهى علوم الأولين والآخرين ، كما يقول الشراح .

قال النووى رحمه الله مبينا حكم المدح فى الغيبة : يستحب المدح



الذى لا كذب فيه اذا ترتب عليه مصلحة ولم يجر الى مفسدة بأن يبلغ المدوح فيفتن أو غير ذلك .

ثالثا — يحرم المدح فى وجه الانسان اذا كان مدعاة للبطر والأثر والغرور والفتنة والظلم ومنع الحقوق ونحو ذلك بدليل الاحاديث الصحيحة التى تمنع هذا ، منها ما رواه الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال « سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يثنى على رجل ويطريه فى المدح ، فقال : أهلكم أو قطعتم ظهر الرجل » والاطراء المبالغة فى المدح . وروى الشيخان أيضا عن أبى بكر رضى الله عنه « أن رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم — ويحك قطعت عنق صاحبك ، بقوله مرارا ، ان كان أحدكم مادحا لا محالة ، فليقل أحسب كذا وكذا ان كان يرى أنه كذلك ، وحسبى الله ، ولا يذكى على الله أحدا » . وروى مسلم عن همام بن الحارث عن المقداد رضى الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان رضى الله عنه ، فعمد المقداد فجأ على ركبتيه ، فجعل يحثو فى وجهه الحصباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » .

رابعا — يجوز المدح أثناء حضور الشخص من أجل التقدير والتشجيع وحث الآخرين على تقليد فاعلى الخير لا سيما فى مجال التعليم كما يقول علماء التربية ، ذلك بكلمات مقتضبة وإشارات عابرة اذا كان المدوح كامل الايمان ، حسن اليقين ، واسع المعرفة والأفق بحيث لا يفتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه ، فان خيف عليه شئ من هذه الأمور كره مدحه كراهة شديدة كما يقول الامام النووى رحمه الله .

والحقيقة ان أوقع الكلام والثناء عند السامع ما اتصف بالاعتدال والايجاز والتلميح .

وقد وردت احاديث نبوية تدل على اباحة المديح فى مثل هذه الحالات منها قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لأبى بكر رضى الله عنه « أرجو أن تكون منهم أى من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها » وقوله عليه السلام له أيضا « ان أمن الناس على فى صحبتى وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه « ما رآك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فحك » وفى حديث آخر قال : « افتح لعثمان ويشره بالجنة » وقال لعلى كرم الله وجهه « أنت منى وأنا منك » وقال لبلال « سمعت دف نعليك فى الجنة » وقال لأشج عبد القيس « ان عليك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله : الحلم ، والأناة » وقال للأنصار : « انتم من أحب الناس الى » ومن المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم أجاز مديح كعب بن زهير له فى قصيدته اللامية المشهورة وخلع عليه بردته الشريفة .

خامسا - يحرم على الانسان تركيته نفسه اذا كان بقصد الاعجاب او الافتخار ، واطهار الارتفاع والتميز على الاقران ، او الرياء ونحو ذلك لقوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » ، وليس القصد التكليف بعدم الحزن وعدم الفرح ، وانما المراد المنع من السخط حالة الحزن ومن التفافر حالة السرور : ولقوله سبحانه « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » (١) فان لم يكن كذلك فلا بأس به ، ولا يعد فاعله من المزكين أنفسهم ، كان يكون في التزكية مصلحة دينية بأن يكون المزكى نفسه آمرا بالمعروف أو ناهيا عن منكر ، أو ناصحا أو مشيرا بمصلحة أو معلما أو مؤدبا أو واعظا ومذكرا ، أو مصلحا بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شرا أو نحو ذلك ، فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله واعتماد ما يذكره ، كما قرر الامام النووي رحمه الله .

وقال شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام « ولا يمدح المرء نفسه الا اذا دعت الحاجة الى ذلك ، مثل ان يكون خاطبا الى قوم فيرغبهم في نكاحه أو ليعرف اهليته للولايات الشرعية والمناصب الدينية ليقوم بما فرض الله عليه عينا أو كفاية ، كقول يوسف عليه السلام « اجعلنى على خزانة الأرض انى حفظ عليهم » وقد يمدح المرء نفسه ليقتردى به فيها مدح به نفسه ... وهذا مختص بالاقوياء الذين يأمنون التسميع ويقتردى بأمثالهم » .

هذه هي مبادئ الاسلام في زاوية حساسة من زوايا المجتمع ، فهل نحن سائرون عليها ، أو أننا نسينا كل شيء عن الاسلام ما عدا الصلاة والصيام والحج ؟

وأخيرا وليس آخرا أقول لعلماء الاسلام بالسذات على منابرهم ومكائيبهم ليقى الله كل خطيب فيما يخطب الناس في المناسبات العامة ، فانه مسئول عن كل كلمة قالها ، وهو موئل الثقة من الناس وقودتهم ، فاذا مدح قائدا أو رئيسا فليعتدل في مدحته ، وليحمل المسئول تبعه مسؤولية العظمى وأمانته الكبرى ، ولا يكون جسرا يعبر عليه لتضليل الناس وتمويه الحقائق ، وليترك كل انسان أعماله لتقدير التاريخ ، وليدع انجازاته العامة أو مقالاته أو مؤلفاته مثلا لتقدير المواطن أو القارئ ولحكمه الصادر من اقتناعه الذاتي ، ولا يفتن أحد بالانقلاب والمناصب فليست هي أحيانا عن جدارة ، كما لا ينخدع أحد بتقديم الكتب وتدبيج المديح فيها للمؤلف من أحد الاعلام ، مثلا ، فتلك مجاملة محضه في الغالب ، ولننفل الفعل القوى الصارم ونترك الجزاء لله وحده فهو خير الشاهدين وأعدل الحاكمين .

(١) وقول في تفسير الآية أيضا : لا يزكى بعضهم بعضا ، والمراد كما قال الأئمة : النهي عن تزكية السبعة ، أو المدح للدنيا ، أو التزكية على سبيل القطع ، وأما التزكية لأشياء الحقوق ونحوه فهي جائزة ، وبهذا الفهم للآية يضاف دليل جديد على حرمة مدح الغير على النحو الذى فصلنا البيان فيه .

# أبو بكر الصديق رضي الله عنه

للمكتوب: محمد تقي الدين الهلالي

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي في كتابه « تذكرة الحفاظ »  
ما نصه :

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أفضل الأمة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤتسمة في الفار وصديقه الأكبر وصديقه الأشفق ووزيره الأحمق ، عبد الله ابن أبي قحافة عثمان القرشي القمي قد افردت سيرته في مجلد وسط ، وكان أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت الى أبي بكر تلتبس أن تورث ، فقال ما أجد لك في كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة . فقال : حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيها السدس فقال له هل معك أحد فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيه فقال انكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستطوا حلالة وحرّموا حرامه .

فهذا المرسل يدلّك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحرى ، لا سد باب الرواية ، إلا تراء لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقول الخوارج .

وحدث يونس عن الزهري أن أبا بكر حدث رجلا حديثا فاستفهمه الرجل إياه فقال أبو بكر هو كما حدثك ، أي أرض تقلني إذا أنا قلت ما لم أعلم ؟ وصح أن الصديق خطبهم فقال إياكم والكذب فإن الكذب يهدي الى الفجور ، والفجور يهدي الى النار .

وقال على بن عاصم وهو من أوعية العلم لكنه سيء الحفظ أن اسماعيل ابن ابي خالد عن قيس ابن ابي حازم قال سمعت ابا بكر الصديق يقول اياكم والكذب فان الكذب مجانب الايمان قلت صدق الصديق ، فان الكذب رأس النفاق وآية المنافق والمؤمن يطبع على المعاصي والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب ، فما الظن بالكذب على الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القائل ان كذبا على ليس ككذب على غيري ، من يكذب على نبي له بيت في النار وقال من يقل على ما لم يقل ، الحديث . فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله فكيف حال من تهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعبد عليه الكذب وقوله ما لم يقل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ، فانا لله وانا اليه راجعون ما ذى الالبلة عظيمة وخطر شديد ممن يروى الاباطيل والاحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب فحق على المحدث ان يتورع في ما يؤديه وان يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على ايضاح مروياته ولا سبيل الى أن يصير العارف الذي يزكى نقلته الاخبار ويجرحهم جهذا الا بادمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهو والتقيط والفهم مع التقوى والدين المتين ، والانصاف والتردد الى مجالس العلماء والتحرى والانتقان والاقتل .

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمسداد

قال الله تعالى عز وجل ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) فان آنتست يا هذا من نفسك فهما وصدقا ودينا وورعا والا فلا تتعن ، وان غلب عليك الهوى والعصية لرأى ولذهب فبالله لا تتعب ، وان عرفت أنك مخطئ مخطئ مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحق المكر النسء الا بأهله فقد نصحتك فعلم الحديث صلف ، فاین علم الحديث ؟ واین اهله ؟ كدت إلا أراهم الا في كتاب أو تحت تراب .

نعم فرائس الصادقين في الأمة الصديق واليه المنتهى في التحرى في القول وفي القبول .

توفي الصديق رضي الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة ( ٦٣ ) .

### توضيحات وشروح لا تقدم

١ - قوله مؤنس في الغار هذه فضيلة من فضائل الصديق خصه الله بها وذكرها في كتابه العزيز قال تعالى في سورة التوبة « آية ٤٠ » ( الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهبا في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها )) .

قال الامام ابن كثير في تفسيره يقول تعالى ( الا تنصروه ) اي تنصروا رسوله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره ( اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ) اي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه ابي بكر بن ابي قحافة فلجأ الى غار ثور ثلاثة

أيام حتى يرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول : ( يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ) اهـ .

فهذه الزية مع شهادة الله له بالصحة من المناقب التي خصه الله بها ! . .

٢ — قوله وكان أول من احتاط في قبول الاخبار من المعلوم أن أعداء الاسلام الأولين والآخرين حاربوا الاسلام وكادوا له ، فبعضهم حاربه ، وبوضع الأحاديث ، وبعضهم حاربه بردها وعدم قبولها ، وكلا الطرفين مذموم ، وخير الأمور الوسط ، فأهل الحق يتثبتون في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتى صح لهم حديث عضوا عليه بالنواجذ وتلقوه بالقبول ، واعتقدوه وعملوا به وإمامهم في ذلك الصديق الأكبر ، فلما جاءت الحجة تلتبس نصيبها من الميراث أخبرها أن كتاب الله لم ينص على شيء من الحق لها في الميراث ، ولم ينف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جعل لها حقا ، ولكن نفى عنه بذلك وهذا شأن الأئمة المحققين المتثبتين ثم سأل أصحاب رسول الله هل عندهم علم بأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل لها شيئا فلما ثبت عنده الحديث برواية عدلين أعطاهما حقها وهو السدس .

٣ — قوله : ما ذى الابلية الخ . . اذا استمعنا الى الخطباء في المساجد والوعاظ وما يذكرونه من الأحاديث وينسبونها الى النبي صلى الله عليه وسلم بدون عزو الى مخرج ولا معرفة لصحيح أو ضعيف أو موضوع رأيت العجب العجيب ، هذا مع أن كتب الحديث الصحيحة التي خدبها الأئمة بالشرح وبيّنوا صحيحها ومعانيها ميسورة ، فلم يرد الخطباء والوعاظ بل والدرسون في المعاهد الدينية أن يكلفوا أنفسهم دراسة تلك الكتب وأخذها من أهلها العارفين بها ونقل الأحاديث منها على نور وبصيرة ، بل أقبلوا على دواوين الخطب التي تجميع كل غث وسقيم من فضائل الأيام والشهور ، فتجد عندهم لكل شهر خطبة خاصة يجمعون فيها أحاديث وأهية أو موضوعة في فضل ذلك الشهر أو يوم مخصوص منه ، ولا يهمهم من شؤون الناس الذين يستمعون خطبهم الا ذلك ، وقد يذكرون خرافات وأباطيل يقطع كل من يسمعها ببطلانها ، وقد اشتكى الامام الذهبي من أهل زمانه فلو عاش الى هذا الزمان لراى ما لم يخطر له ببال فالى الله المشتكى .

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكرو

وبقيت في خلف يزكى بعضهم بعضا ليسكت معور عن معور

٤ — قوله : وان غلب عليك الهوى والعصبية لراى ولذهب فبالله لا تتعب

الخ . . .

ما اصدق هذا الكلام وأحسنه فان طالب علم الحديث لا يتنفع به ويكون من أهله الا اذا عقد العزم على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما صح عنه لا يمنعه من ذلك راى كان من قبل يراه أو كان يراه استأذنه ولا مذهب ينسب اليه بل ينشد دائما قول القائل

دعوا كل قول غير قول محمد فما آمن فى دينه كمخاطر

بل يجعل نصب عينيه قول الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى .. يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ٣١ سورة آل عمران .

ه - قوله : أين علم الحديث وأين أهله ؟ كدت إلا أراهم الخ .. هكذا يقول الإمام الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وكان عصره مشرقا عامرا بحفاظ الحديث ونقاؤه فقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلاني ( كتاب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ) وذكر فيه جمعا غفيرا من الحفاظ المحدثين وهو أحد أئمتهم فكيف بزماننا هذا وماذا نقول فيه أكثر من ( لا حول ولا قوة الا بالله ) .

### فوائد من سيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الاولى - ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وستة اشهر ، وفى الإصابة للحافظ ابن حجر أن عائشة رضى الله عنها قالت : تذاكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ميلادهما عندي فكان النبى صلى الله عليه وسلم أكبر ، اه .

ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل أى فى العام الذى غزا فيه الحبش مكة بالقبيلة فردهم الله على أعقابهم خاسرين ( أنظر تفسير سورة الفيل ) .

الثانية - صحب النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان أول من آمن به من الرجال على الصحيح واستمر معه طول اقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى الغار وفى المشاهد كلها الى وفاته عليه الصلاة والسلام ، وكانت الراية معه يوم تبوك وحج فى الناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، واستقر خليفة بعده ، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله فمضى ينتقصه يريد أن يستر الشمس بالغربال فهو

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل  
وفى مثله ينشد أيضا

يا ناطح الجبل الراسى بهامته اشفق على الراس لا تشفق على الجبل  
وما أحسن قول المتنبى

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتى لها بضرب

الثالثة - روى أبو بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين منهم عمر وعثمان وعلى ، وهم الخلفاء بعده وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وحذيفة وزيد بن ثابت وخلق لا يتسع المقام لذكرهم .

الرابعة — روى سعيد بن منصور بسنده الى عائشة قالت اسم أبى بكر الذى سماه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق .

الخامسة — كان أبو بكر رضى الله عنه أبيض نحيفا خفيف العارضين معروق الوجه ناتئ الجبهة يخضب بالحناء والكتم ، — والخضاب بالحناء والكتم قريب من السواد وهو الى السواد أقرب منه الى الحمرة التى تنشأ عن الخضاب بالحناء — وقد صح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بالحناء والكتم هو الذى يسمى ( بالوسمة ) وقد قلت فى ذلك شعرا .

انى لأخضب بالحناء والكتم      اقفوا بذلك خير العرب والعجم

محمدا وأناسا من صحابته      كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم

السادسة — قال الحافظ فى الإصابة وأخرج أبو يعلى بسنده الى عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفناء البيت اذ جاء أبو بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر » .

السابعة — قال الحافظ وقال ابن اسحق كان أبو بكر مؤلفا لقومه محببا سهلا ، وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلهم وتجاريه ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به . فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ا هـ .

قال الحافظ وأخرج أبو داود فى الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرنى أبى قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهما .

الثامنة — قال الحافظ وأخرج يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسنده الى هشام عن أبيه قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً فأنفها فى سبيل الله ، وأعتق سبعة كلهم يعذب فى الله أعتق بلالا وعامر بن مهييرة ونذيرة والنهدية وأبنتها وجارية بنى المؤمل وأم عبيس .

التاسعة — قال الحافظ وأخرج الدار قطنى فى الأفراد من طريق أبى اسحاق عن أبى يحيى قال لا أحصى كم سمعت عليا يقول على المنبر ان الله عز وجل سمى أبى بكر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم صديقا ، انتهى مستفادا من الإصابة .

#### فوائد أخرى من الاستيعاب للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله

الأولى — كان اسمه فى الإجمالية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله هذا قول أهل النسب الزبيرى وغيره .

الثانية — قال فيه حسان بن ثابت يمدحه :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة  
 فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا  
 خير البرية اتقاها وأعدلها  
 بعد النبي وأوفاهها بما حملا  
 والثانى التالى المحمود مشهده  
 وأول الناس من صدق الرسل  
 وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد  
 طاف العدو به اذ صعودوا الجبال  
 وكان حب رسول الله قد علموا  
 خير البرية لم يعدل به رجلا  
 وقال فيه أبو محن الثقفى :

وسميت صديقا وكل مهاجير  
 سواك يسمى باسمه غير منكر  
 سبقت الى الاسلام والله شاهد  
 وكنت جليسا بالعريش المشهر  
 وبالغار اذ سميت بالغار صاحبا  
 وكنت رفيقا للنبي المطهر

قوله — وكنت جليسا بالعريش المشهر ، يعنى أن أبا بكر كان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم فى العريش الذى جعل له فى غزوة بدر ، غرافته فى العريش كما رافقه فى الغار .

الثانية — سمي الصديق صديقا لمبادرته لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به .

الثالثة — قال أبو عمر قال صلى الله عليه وسلم « ما نفعى مال ، ما نفعى مال أبى بكر » معناه ما نفعى مال مثل ما نفعى مال أبى بكر لأن ما الأولى نافية والثانية مصدرية .

الرابعة — قال أبو عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوا لى صاحبى أى أبا بكر ، فانكم قلتم لى كذبت وقال صدقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلام البقرة والذئب آمنتم بهذا أنا وأبو بكر وعمر » .

ومعنى ذلك إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه أن بقرة تكلمت وأن ذئبا تكلم ثم قال لهم آمنتم بهذا أنا وأبو بكر وعمر ، فشهد لهما بتصديقه فى ما أخبر به من هذا الأمر الخارق للعادة ، وهذه منقبة لهما ، فويل لمن يعاديهما ويحسد فضلها أنه من الخاسرين .

الرابعة — قال أبو عمر قال عمرو بن العاص يا رسول الله من أحب الناس اليك ، قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها ، وروى مالك عن سالم بن أبى النضر عن عبيد بن حنين عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن من آمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا



خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكن أخوة الاسلام لا يتقين في المسجد خوذة الا خوذة أبي بكر » .

الخامسة — قال أبو عمر روى سفيان بسنده الى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنهم قالوا لها ما أشد ما رأيت المشركين يلقوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا في المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول في آلهتهم فبينما هم كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فقاموا اليه وكانوا اذا سأله عن شيء صدقهم فقالوا السمت تقول في آلهتنا كذا وكذا قال بلى قال فتشبهوا به باجمعهم فأتى الصريح الى أبي بكر فقل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ( ويلكم اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ) قال فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر يضربونه ، قالت فرجع الينا فجعلا لا يمس شيئا من غداثه الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام .

السادسة — قال أبو عمر وروينا من وجوه عن أبي امامة الباهلي قال حدثنا عمرو بن عبسة قال اثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بمعاظ فقلت يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر قال ( حر وعبد ، أبو بكر وبلال ) قال فأسلمت عند ذلك اه .

السابعة — أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبايعته بالخلافة ، لما ظهر لهم من امارات تدل دلالة قاطعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم ارتضاه للخلافة بما تقدم من كونه أحب الناس اليه وتقديمه للصلاة بالناس ، وروى أبو عمر بسنده الى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال أتت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن شيء غابرها أن ترجع اليه فقالت يا رسول الله أرايت ان جئت فلم أجدك تعني الموت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تجديني فأتني أبا بكر ، قال الشافعي في هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

الثامنة — قال أبو عمر بسنده ذكره عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليل فدعاه بلال الى الصلاة فقال لنا مروا من يصلي بالناس قال فخرجت فاذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان مجهرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتني أبو بكر يأتني الله ذك والمسلمون فبعثت الى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلي بالناس طول علته حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أيضا واضح في ذلك .

ومناقب أبي بكر رضي الله عنه أكثر من أن يتسع لها هذا المقال ، والمقصود هنا أنه رضي الله عنه هو أول أهل الحديث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسأل الله أن يجعلنا منهم وينفعنا بحببتهم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

# مائة ألف

## تفسير آية

روى أن عمر بن الخطاب سأل الناس عن معنى قوله تعالى : (( أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون )) .  
فما وجد أحدا يشفيه ، ففسرها له ابن عباس ، وقال في بيان معناها : هذا مثل ضربه الله عز وجل ، فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء ، فافسده كله ، فحرقه أحوج ما كان إليه .

### أى الأجلين :

عن سعيد بن جبير قال : قال يهودى بالكوفة . وأنا أتجهز للحج — انى أراك رجلا تتبع أهل العلم ، فأخبرنى : أى الأجلين قضى موسى ؟  
قلت : لا أعلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب — يعنى ابن عباس — فسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما أن النبى إذا وعد لم يخلف .  
قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى ، فأخبرته ، فقال : صدق وما أنزل على موسى .. هذا والله العالم .

### الاسلام عز

خرج عمر إلى الشام ، ومعه أبو عبيدة ، فاتوا مخاضة ، وعمر على ناقته له ، فنزل وخلع خفيه ، فوضعها على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته ، فخاض فى الماء ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا ؟ ما يسرنى أن أهل البلد استشيرنوك .

فقال عمر : أوه . لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لجعلته نكالا لامة محمد .. إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله أذلنا الله .

### فتنة السراء

قال معاذ بن جبل : انكم ابتليتم بفتنة السراء فصبرتم واني أخاف عليكم فتنة السراء ، وهى النساء اذا تحلين بالذهب ، ولبسن رطب الشام ، وعصب اليمى ، فاتعبن الفنى وكلفن الفقير ما لا يطاق .

### الايمان اولا :

قال جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه :

كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة ( ايان شباننا وقوتنا ) فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا .

### مفاخرة فى الخير

تفاخرت الاوس والخزرج فقالت الاوس : لنا غسيل الملائكة حنظل الراهب ،

ومناعاصم الافلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادين خزيمة بن ثابت ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لوته سعد بن معاذ .  
فقالت الخزرج :

منا اربعة قرعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم : زيد بن ثابت ، وابو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وابى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى ايده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

### مدارس دمشق

قال النعمى فى كتابه ( الدارس فى تاريخ المدارس ) وهو من علماء القرن العاشر الهجرى .  
كان فى دمشق للقرآن سبع مدارس ، وللحديث ست عشرة مدرسة ، وللقرآن والحديث معا ثلاث مدارس ، وللغة الشافعى ٦٣ مدرسة ، وللغة الحنفى ٥٢ مدرسة ، وللغة المالكى ٤ مدارس ، وللغة الحنبلى ١١ مدرسة .

### العصفور والفخ

قال الفخ : للخدمة .  
قال : ما هذه القصة .  
قال : هذه عصائى اتوكأ عليها .  
قال العصفور : فما هذه الحبة ؟  
قال : اتصدق بها .  
قال : ايجوز أن التقطها ؟  
قال الفخ : أن احتجت فافعل .  
فدنا العصفور من الحبة فانطبق عليه الفخ ، فغقال : اللهم انى أعوذ بك من شخص هذا قوله وذلك عمله .

رأى عصفور غفا فى التراب فقال له : من انت ؟  
قال الفخ : أنا عبد من عباد الله .  
قال العصفور فلم جلست على التراب ؟  
قال الفخ : تواضعا لله .  
قال العصفور : فلم انحنى ظهرك ؟  
قال : خشية لله .  
قال : فلم تددت وسطك ؟

# أصالة الفكر السياسي في الإسلام

للكنور محمد علي حيدر

## ١ - مقدمات الفكر السياسي

عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، اجتمع المسلمون أنصارا ومهاجرين ، في سقيفة بنى ساعدة اجتماعا تاريخيا ، يعتبر أهم اجتماع سياسي ، في تاريخ الدولة الإسلامية ، لما ترتب عليه من نتائج سياسية ، أبرزها انشاء منصب الخلافة ، وقد دارت المناقشات في هذا الاجتماع الكبير بحرية وصراحة ، مما يذكرنا بالمؤتمرات السياسية الحديثة ، وما أشبهه بجمعية وطنية اسلامية ، أو مؤتمر سياسي يبحث في مصير الدولة الإسلامية لقرون تالية .

وقبل أن نتناول هذا المؤتمر بالبحث والدراسة ، لنتعرف على ما دار فيه من أفكار سياسية ، وما أسفر عنه من نتائج على جانب كبير من الاهمية في حياة الأمة الإسلامية نلم المامة يسيرة بالعوامل التي أثرت في فكر الجماعة الإسلامية ، وجعلتها تتجه صوب السقيفة لتلتقي هذا اللقضاء الكبير .

لعل أبرز العوامل التي أثرت في الفكر السياسي في الاسلام بصورة عامة ، وفي اجتماع السقيفة بصفة خاصة يمكن مردها الى هذه العوامل الثلاثة :

## ١ — النظام الذى أوجد الرسول عليه السلام :

لم يعد هناك شك فى أن النظام الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون معه بالمدينة ، يمكن أن يوصف بأنه « سياسى » بكل ما يؤديه هذه الكلمة من معنى ، وهذا لا يمنع أنه يوصف فى نفس الوقت بأنه « دينى » .

فقد بدأ تكوين الدولة الإسلامية بهجرة النبى عليه السلام وأصحابه من مكة الى المدينة ، بعد أن أيقن المسلمون بأن مكة ليست هى البيئـة الصالحة لنشر الدعوة الإسلامية ، ونموها بعد أن حاول المشركون أن يطفئوا نور الله بأفواههم بمحاولاتهم المتكررة للقضاء على دين الله ، وتعذيبهم المسلمين ، ولكن « يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون » . وفى المدينة ، أخذ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ينظم الجماعة الإسلامية ، فأخى بين المهاجرين والأنصار ، وأخذ يحدد العلاقة بينه وبين الطوائف الدينية الأخرى ومن ثم أخذت مقومات الدولة الإسلامية تتحقق فى المدينة ، فقد أصبح لها الوطن الآمن فى المدينة وما حولها ، وصار الشعب الإسلامى يتكون من المهاجرين والأنصار وأخذ الرسول القائد يحكم بين الناس بالعدل ويسوسهم بكتاب الله ، ولم يعد المسلمون يقفون موقف الضعيف ، بعد أن تحقق لهم الجيش القوى الذى أخذ يدافع عن حقوقهم السلبية ويزود عن كيان الدولة الإسلامية الناشئة .

ولم تكن الدعوة الإسلامية مقصورة على التغيير الكامل فى الوضع السياسى ، بل شملت أيضا الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وظل الرسول وفيا للمبدأ الذى نادى به وهو المساواة والاخوة بين جميع المسلمين .

والحق أن التاريخ لم يعهد مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير ، كما فعل محمد عليه الصلاة والسلام ، إذ لم تتجاوز دعوته ثلاثة وعشرين عاما مجيدا فى حياة الأمة الإسلامية ، حتى أقام خلالها نظاما سياسيا ، وأوجد دينا ودولة معا ، وفى هذا المعنى الذى نقصد اليه نذكر بعض آراء المستشرقين :

يقول الأستاذ « نليون » Nallion « لقد أسس محمد فى وقت واحد : دينا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته . »

ويقول الدكتور شاخت : Schacht على أن الإسلام يعنى أكثر من دين : أنه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا .

ويقول الأستاذ « ماكدونالد » Macdonald هنا — أى فى المدينة — تكونت الدولة الإسلامية الاولى ، ووضعت المبادئ الأساسية للقانون الإسلامى .

وهذه الدولة الإسلامية المثالية التى تحققت على يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، سوف تكون المحور والأساس الأول الذى تدور من حوله الأفكار السياسية ، التى سوف تنطلق بعد وفاة الرسول مباشرة فى اجتماع السقيفة ، وبعد هذا الاجتماع ... لأن هذا النظام حرك مشاعر المسلمين ، إذ لا بد له من قائم يقوم به ، ويحافظ عليه ، وإن لا يترك هكذا

دون راع يراه ، والا عصفت به العواصف ، وضاع في مهب الرياح .  
وقد وفق المسلمون ، حين أدركوا بفطرتهم السليمة ، أن هذا البناء  
الشامخ في حاجة ماسة الى من يراه ، ويحافظ عليه ، ومن هذا المنطلق  
الفكري بوجوب حاكم يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته ودولته ،  
هرع المسلمون الأولون الى سقيفة بنى ساعدة ليختاروا من بينهم أحـد  
المسلمين ليخلف النبي عليه السلام ليحافظ على دين الله ويرعى مصالح  
الدولة الاسلامية الناشئة .

وهكذا كانت الدولة الاسلامية التي أقامها الرسول عليه السلام على  
أساس من الدين ، هي المحرك الأول ، والدافع المثير ، في إيقاظ الفكر  
السياسي ، الذي تمثل في اجتماع السقيفة ولكن لا بد من عامل ثان لهذه  
البيظة الفكرية ، والذي يمكن أن نطلق عليه بأنه الحرية المطلقة في التفكير  
وفي التعبير ، والتي كانت مبدأ هاماً من مبادئ الاسلام .

### **ب — حرية التفكير :**

وقد ضمن الاسلام وجود هذا العامل باقراره لهذا المبدأ الذي سبق  
أن أشرنا اليه : وهو مبدأ حرية التفكير للفرد ، فالاجتهاد حق لكل مسلم ،  
ومبدأ هام من مبادئ التشريع الاسلامي ، واذا كانت أوروبا لم تهتد الى هذا  
المبدأ الخطير الا في القرن السابع عشر الميلادي ، فان هذا يظهر بجلاء  
سمو التفكير الاسلامي ، وأصالته ، وسبقه للفكر الاوربي في هذا المجال  
بحوالى عشرة قرون .

فقد ظلت الكنيسة في أوروبا تحتكر لنفسها — من دون الناس — فهم  
النصوص الدينية ولم يكن يحق لفرد من أفراد الشعب أن يكون لنفسه رأياً ،  
أو يبدى فيها خاصاً للنصوص الدينية ، وظلت أوروبا غارقة في بحار الجهل  
ثروناً طويلة ، حبيسة هذا الاحتكار الفكري لجماعة قليلة متعصبة ،  
تمركزت في رجال الدين ، الى أن كانت ثورة رجال الفكر ، على جهود رجال  
الدين ، بقيادة « لوثر » وأتباعه ، وكانت النتيجة لهذه الثورة التحريرية ، أن  
تحقق مبدأ الحرية الفكرية في أوروبا ، وأصبح من حق الإنسان ، أن يكون  
لنفسه رأياً في أوروبا ، ولكن بعد أن كان هذا المبدأ ، قد ساد أنحاء الدولة  
الاسلامية بحوالى ألف عام .

وهذه الحرية الفكرية النابعة من تقاليد الاسلام وتعاليمه ، هي التي  
حركت عقول المسلمين ، الى أن يكونوا لهم آراء سياسية ، وكان اجتماع  
السقيفة أهم مظهر من مظاهر هذه الاتجاهات السياسية في فجر الدولة  
الاسلامية .

### **ج — تفويض الأمر للأمة :**

واذا كان هذان العاملان : الدولة والحرية ، قد أديا دورهما كمقدمات  
ضرورية للأفكار السياسية التي ظهرت في اجتماع السقيفة ، الا أنها كانت  
في حاجة ماسة الى تجربة يتمحن فيها المسلمون ، وقد تهيأت لهم التجربة  
بموت الرسول عليه السلام ، دون أن يجدد لجماعة المسلمين الأسلوب

الذى يسلكونه ، ولا النظام الذى يتبعونه فى اختيار الحاكم من بعده .  
وقد ذهب المستشرقون مذاهب شتى فى محاولتهم معرفة السبب  
الذى من أجله ترك الرسول هذا الأمر دون أن يحدد الشخص الذى يخلفه  
فزعم بعضهم أن المرض هو الذى شغله عن هذا الأمر ، وهذا زعم ظاهر  
البطلان ، ولا أساس له من الواقع ، فلم يكن المرض خطيرا الى هذه  
الدرجة التى تمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الكلام ، فقد أمر  
رسول الله عليه السلام أبا بكر أن يصلى بالناس ، وكان فى وسعه أن  
يردف قائلا ، وأنت يا أبا بكر خليفة المسلمين من بعدى .  
فلم يكن إذن المرض على هذه الدرجة من الخطورة ، وعلى غرض  
صحة هذا الزعم ، فلماذا لم يعين الرسول من يخلفه أثناء صحته وقبل  
مرضه أثناء حياته الطويلة ؟؟

ولم يقف ادعاء المستشرقين عند هذا الحد ، بل ذهب آخرون بأن  
الرسول ترك هذا الأمر ، جريا وراء التقاليد العربية ، فى اختيار شيخ  
القبيلة . ولكن كيف يكون الأمر كذلك ، وقد جاء الإسلام لهدم التقاليد  
العربية ، والقضاء على العادات القبلية ، باحلال النظام الإسلامى محل  
تلك العادات البالية ، ثم لم يكن هناك تقليد واحد متبع حتى يتبعه المسلمون  
بل كانت هناك تقاليد عدة فأى التقاليد إذن ترك المسلمون ليسلكوه ؟ لقد  
كان لكل قبيلة نظامها الخاص فى اختيار شيخ القبيلة ، ومن هنا كان يمكن  
أن يكون هذا الأمر مثار نزاع طويل بين القبائل العربية المختلفة ، وسببا  
للفرقة والخصام . وهذا ما لا يرضاه الرسول لأصحابه .

ويبقى بعد ذلك السبب المقبول والمعقول هو أن الرسول عليه الصلاة  
والسلام ترك تحديد الشخص الذى يخلفه فى أمته ، لإيمانه  
الذى لا يتزعزع فى حق الأمة الإسلامية فى تقرير مصيرها  
بنفسها ، فهو لم يرد للأمة أن تكون حبسية تقاليد معينة قد لا ترضى عنها  
الأمة فيما بعد ، فنظروا لإيمانه بالتطور ، وإيمانه بحق الشعب المسلم فى  
تقرير مصيره بنفسه ، دون أن يكون هناك توجيه من أحد فيما بعد هو ما  
دفعه الى أن يترك هذا الأمر للأمة وحدها ، كى تواجه قدرها بنفسها حتى  
تكون لها حرية الإرادة ، وحرية التفكير ، وحرية الاختيار ، وكأنه بهذا قد  
سبق الدساتير الحديثة التى تقر بأن « الأمة هى مصدر السلطات » . وأن  
إرادة الأمة فوق إرادة الأفراد ، لأن الأمة باقية ، والأفراد زائلون .

وهكذا كانت الدولة الإسلامية التى أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام  
والحرية الفكرية التى رعاها الإسلام ، وتفويض الأمر للأمة ، مقدمات  
طبيعية لاثارة الفكر الإسلامى ، والتأثير فيه . وقد ظهرت آثار هذا فى  
اجتماع السقيفة ، الذى أثرت فيه نظريات سياسية لأول مرة فى تاريخ  
الفكر الإسلامى .

## ٢ - فى اجتماع السقيفة :

لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فى يوم الاثنين

١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية (٨ يونيه سنة ٦٣٢) . وهو فى الثالثة والستين من عمره . ووجد المسلمون أنفسهم أمام مشكلة دستورية خطيرة فإن هذه الدولة لا بد لها من قائد يتولى أمورها ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يحدد الشخص الذى يخلفه ، وهنا عثرت الأمة الإسلامية ، وقدرت موقفها وخطورتها ، وهديت الى الصواب حين قررت أن لا بد من قائم يقوم بهذا الأمر ، برغم الصدمة ، وفداحة الخطب ، وجلل المصائب .

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى عرف بالشجاعة ، يقول بعد أن سمع صنوت النعمي « إن رجلا من المنافقين زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ، والله ما مات ولكنه ذهب كما ذهب موسى والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقطع أيدي رجال زعموا أنه مات » ويثوب المسلمون الى رشدهم بعد أن ذاد عنهم أبو بكر المززع والهلح بخطبته التى قال فيها :

أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه قلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

وقد بادر أحد الفريقين الرئيسيين اللذين كانت تتألف منهما الجماعة الإسلامية وهم الأنصار الى عقد اجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ، ليتشاوروا فى الأمر ، ويختاروا من بينهم خليفة فقال ساعد بن عبادة سيد الخزرج : « يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الاسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة ، فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه الا رجل قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به ، حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الايمان به ، وبرسوله والمنع له ولاصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا حتى اتخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم تقرير عين استبدوا بهذا الأمر من دون الناس ، فانه لكم دون الناس » .

كانت هذه المقدمات التى أراد بها الأنصار أن يصلوا بها الى النتيجة التى أرادوها وهى أنهم أحق المسلمين بالخلافة ، لاعزازهم الاسلام ، وعظيم جهادهم فى سبيل الدعوة الإسلامية بأنفسهم وأموالهم لأنهم أصحاب الدار ، ويحق لنا أن نقول بأن هذه النظرية — نظرية حق الانتصار — اول نظرية سياسية فى تاريخ الفكر السياسى فى الاسلام .



وانبرت نظرية ثالثة لمقاومة هذه النظرية ، وهى الدفاع عن حيق المهاجرين واثبات أولويتهم فى استحقاق الخلافة على غيرهم .

فقد علم المهاجرون بنبأ هذا الإجتماع ، فأسرع اليه أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة ، ووقف أبو بكر فى الناس خطيبا ، وأخذ يقيم الحجة على أحقية المهاجرين بالخلافة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

فعظم على العرب أن يتركوا دين آباؤهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به ، والمساواة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم له ، وتكذيبهم إياهم ، وكل الناس مخالف لهم ، زاد عليهم ، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم ، وشغف ( بغض ) الناس لهم واجتماع قومه عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وآمن بالله رسله ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم فى ذلك الا ظالم ، وانتم يا معشر الأنصار ، ممن لا ينكر فضلهم فى الدين ، ولا سابقتهم العظيمة فى الاسلام : رضيكم الله انصارا لدينه ولرسوله ، وجعل اليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا من يهنئكم ، فنحن الأمراء ، وانتم الوزراء ، فلا تفتاتون بمشورة ولا تنقضى دونكم الأمور » .

وهكذا يسلم أبو بكر ببعض المقدمات التى ساقها الأنصار ولكنه لا يسلم بالنتيجة التى أرادوها لأنفسهم ، وانما يقيم الحجة على أن المهاجرين هم أحق الناس بالخلافة ، فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وهم الذين هاجروا فرارا بدينهم تاركين أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم الذين جاهدوا وصبروا ، ثم هم أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لهذا كله يفضلون الأنصار فى دعوى أحقيتهم بالخلافة ، وبهذا تقررت نظرية المهاجرين فى أحقيتهم بالخلافة .

ثم يظهر فى ثنايا هذا الصراع الفكرى نظرية أخرى ثالثة ، دعا إليها « الحباب بن المنذر » وهى امكان اقتسام السيادة ، أو تعدد الإمرة بأن يكون هناك خليفتان ، وذلك حين قال : « منا أمير ومنكم أمير » ولكن المجتمعين على اختلاف وجهات نظرهم قد اقرؤا مبدءا خطيرا وهو عدم اقتسام السيادة .

واستقر الراى على انتخاب « أبى بكر » لما كان يتمتع به من مكانة دينية عالية ، راجعة الى سبقه فى الاسلام ، وحسن بلائه ، وطول صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وعظيم اخلاصه ورسوخ إيمانه ، ثم الى صفاته الخلقية والعقلية النادرة التى جعلت من شخصه المثل الأعلى للمسلم الكامل .

وعلى هذه الصورة تم انتخاب أبى بكر ليكون أول خليفة فى الاسلام ، وافر المجتمعون هذا المبدأ فى اختيار رئيس الجماعة أو الدولة ، وهو البيعة ، أو الانتخاب ، وأطلقوا عليه لقب خليفة رسول الله الذى يشعمر بالعلاقة التاريخية التى تربط الرسول وصحبه .

ومنذ هذه اللحظة التي تمت فيها البيعة لأبى بكر ، أصبح يباشر سلطاته الدستورية من خلال هذا الإجماع الذي انعقد عليه من جماعة المسلمين ، وهنا ينبغي أن نقف لحظة أمام هذا العقد السياسى الذى عقده المسلمون لأبى بكر لتبئين طبيعة هذا العقد السياسى .

فقد اهتم الباحثون بهذا العقد من وجهة نظر القانون والدستور فقرر الدكتور السنهورى : « أن الامانة عقد حقيقى مبنى على الرضا ، وأن الخليفة أو رئيس الدولة فى الاسلام يتولى السلطة نيابة عن الامة ، أى أن الامة هى صاحبة السلطة ، تفوض الحاكم فى ممارستها نيابة عنها ، ووفقا لعقد صحيح بينها وبينه » .

فهذا العقد السياسى اذن الذى عقده المسلمون لأبى بكر ، انما هو عقد حقيقى ، نشأ عن ارادات حرة ، وجاء نتيجة لتطور الأحداث التاريخية وليس وليد الوهم أو التخيل أو الافتراض كما جاء فى الفكر السياسى الأوروبى .

ولبيان هذه الحقيقة نذكر فكرة الفلاسفة الاوروبيين حول العقود السياسية لتبئين منها الفرق الكبير بين الفكر السياسى الإسلامى والفكر السياسى الأوروبى .

لعل من أشهر النظريات السياسية التى تعالج موضوع نشأة الحكومات فى أوروبا نظرية الفيلسوف الانجليزى « توماس هوبز » التى جاءت فى كتابه « التتين » عن الحكم المطلق . « والتتين » اسم وحش بحرى ، جاء ذكره فى الكتاب المقدس فى سفر ايوب وقد وصف هذا الوحش الطاغى بأن الرعب يمشى فى ركابه ، ولكنه مع ذلك يخشى من دودة صغيرة ، تتعلق فى زعانف نسوع من الأسماك الكبيرة .

ويقول « هوبز » فى مقدمة كتابه « ان دهاء الانسان وتحايله هو الذى خلق هذا الوحش الطاغى الذى نسميه الدولة » فالدولة فى نظره تتمثل فى نظام الحكم المطلق الذى يتمتع به الحاكم مما يجعل الأفراد يرهبونه كذلك الوحش الطاغى الذى سمي الكتاب باسمه . وقد تبنى « هوبز » نظريته عن نشأة المجتمع والحكومات ، على أن الانسان أنانى بطبعه وأن هذه الأنانية تجعله لا يفكر الا فى نفسه ، وفى سعادته الفردية ، الا أن العقل ما لبث أن وجد تناقضا بين هذه الأنانية المطلقة التى تدفع القوى الى الاعتداء ، وبين رغبة الانسان فى الاحتفاظ بسلامته وأمنه ، لذلك ففكر الناس فى طريقة للخلاص من هذا الصراع الدامى ، وانفقوا فيما بينهم لوضع حد لتنازعهم الأبدى باقامة الحكومات ، فلكى يضمن الفرد الاحتفاظ بنسبة أعشار حريته وأمنه فعليه أن يضع العشر الباقى من حريته بين يدى الحاكم الذى تكون مهمته السهر على مصالح الأفراد ، والتدخل بالقوة لمنع أى اعتداء يقع على أحدهم من جاره .

# في المغرب العربي

للأستاذ: محمد الرصوفي

(١) الأستاذ عبد الله كنون علم بارز من أعلام النهضة العلمية والوطنية في المغرب العربي ، وفي مدينة طنجة حفظ القرآن الكريم ودرس على يد والده — فقد كان عالما كبيرا — وعلى غيره من العلماء الفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية ، كذلك درس في جامعة القرويين — مصدر الاتساع الفكري الإسلامي في المغرب العربي .

(٢) وفي نحو العشرين من عمره اشتغل بالتعليم وأخذ مع هذا يكتب في الصحف نثرا وشعرا يدعو إلى الجهاد وتحرير الوطن من الدخلاء ، فاضطهده المستعمرون كثيرا ، وما زاده اضطهادهم له الا قوة في عقيدته وعزيمة وإصرارا على مواصلة العمل من أجل الحرية والاستقلال ، ومن ثم كان أحد المؤسسين للجمعية الوطنية الأولى التي تلت حرب الريف مباشرة ، وتفرعت عنها كتل العمل الوطني التي انبثقت منها جميع الأحزاب السياسية بعد ذلك .

ولما كانت سياسة المحتل تسعى في خبث وكيد لبتتر صلة المغرب العربي بباضيه ، وتراثه الإسلامي العريق ، فان الأستاذ كنون أسس كثيرا من المدارس والمعاهد القومية ، ليحمي وطنه من مؤامرات الاستعمار التي كانت تنكر في الظلام لمسخ عروبه وتمزيق وحدته وفرنسة أهله .

(٣) وهذا المجاهد المثار المصلح مفكر إسلامي أصيل ، له نشاط جم في الدراسات الإسلامية والمباحث اللغوية ، وهو في ميدان الأدب والنقد أستاذ له مدرسة وتلاميذ ، وكتبه تربو على العشرين ، منها « النبوغ المغربي في الأدب العربي » في ثلاثة أجزاء ، وهو تاريخ للحركة الفكرية والأدبية في المغرب منذ دخله الإسلام حتى الآن ، و « مفاهيم إسلامية » وهو طائفة من الدراسات الإسلامية الرصينة حول بعض المشكلات المعاصرة ،

وكتاب « ادب الفقهاء » وهو دراسة مبتكرة تناولت بالتحليل والتعليق آثار فقهاءنا الاعلام فى الادب واللغة ، وتحقيق كتاب قواعد الاسلام للقاضى عياض ، وكتاب ترتيب احاديث الشهاب لابن القلعي ، وكتاب عجالة المبتدى وفصالة المنتهى فى النسب للحازمى .

وفضلا عما أسلفت فهو عضو بهجبع اللغة العربية ومجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، وقد مثل بلاده فى كثير من المؤتمرات العلمية والادبية فى البلاد العربية وغيرها ، وقد انتهزت فرصة حضوره مؤتمر المجمع اللغوى فى الدورة الخامسة والثلاثين ورغبت اليه فى أن يحدث قراء السوعى الاسلامى عن الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق ، فأبدى سروره لتحقيق هذه الرغبة ، وبخاصة أن مجلة السوعى أثيرة لديه ، وأنها تحمل رسالة الفكر الاسلامى المعاصر الى كل مكان فى الوطن الاسلامى .

{ } وجلست مع الفكر والمجاهد العربى الكبير أكثر من ساعتين ، وحدثنى حديثا موجزا جامعا استهله بالكلام عن الاخطار التى تعرض لها الاسلام فى ظل الاحتلال ، فقال :

« ما دخل الاستعمار بلدا اسلاميا الا سعى فى حقد ليبعد أهله عن جوهر اسلامهم ، وعمل فى كيد لتفريق كلمتهم وتوهين قوتهم حتى لا يثور ضده ناثر ، ولا يقف فى طريق اطماعه مكافح أو مناضل ، وحتى تظل له دائما كلمة السيادة والقيادة .

وحين دخل الفرنسيون المغرب العربى أخذوا يفكرون فى وسيلة يمزقون بها وحدة هذا الشعب ، ويضربون بها فى الوقت نفسه العقيدة الاسلامية فى هذا الجزء من الوطن الاسلامى ضربة قاصمة ، وقد تفق ذهن المحتلين بعد نحو عشرين عاما من تاريخ الاحتلال ، عن ذلك الرسوم الذى وقعته الملك كرها وصدر فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ وعرف باسم « الظهير البربرى » وكان هذا الظهير يقضى بفصل السكان الذين هم من أصل بربرى عن العرب ، وأن يكون للبربر مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها البربرية والفرنسية دون العربية ، وقد نص هذا الظهير أيضا على إلغاء المحاكم التى كانت تفصل بين البربر ، طوعا لتعاليم الشريعة الاسلامية وأن تحل محلها محاكم أخرى يكون أعضاؤها من شيوخ البربر والضيباط الفرنسيين ، وتخضع هذه المحاكم فى أحكامها للاعراف الجاهلية والقانون الفرنسى ، وبخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية .

وكان معنى هذا القضاء على الاسلام ولغة كتابه بين البربر ، وإحياء العصبية الجنسية بينهم ، توطئة لأن يستقلوا بحكومة أو دولة ضد الاسلام والعرب .

ولذلك قامت سلطات الاحتلال فور صدور هذا الظهير أو المرسوم بنشاط محموم من أجل تنفيذ نصوصه ، أغلقت الكتاتيب القرآنية ، وأبعدت معلمى القرآن من المناطق البربرية ، وشجعت الدراسات المفرضة التى ذهبت الى أن البربر أصلهم آرى وليسوا ساميين كالعرب ، وأن قبائل البربر قد نزحت الى المغرب من أوروبا ، فهذه القبيلة من ايطاليا ، وتلك من اسبانيا .. وهكذا . .

وفى الوقت نفسه أنبث المبشرون فى كل قبائل البربر وكانت وسائل الاحسان الى الفقراء وانشاء الوحدات الطبية والمكتبات العلمية ، من أهم

ما لجأ اليه المبشرون من أجل الغاية التي جندهم الاستعمار لها ، الا وهى تنصير البربر والتفريق بينهم وبين العرب .  
( ه ) وقلت للأستاذ كنون : فماذا كان موقف العلماء والشعب من ذلك الظهير ؟

وصمت العالم المجاهد برهة ، وكأنه يسترجع ذكريات عزيزة عليه ، ثم قال :

بعد صدور الظهير البربرى قام العلماء فى المغرب الشيوخ منهم كالشيخ عبد الرحمن القرشى ، ومحمد بن العربى العلوى ، ومحمد غازى ، وابراهيم الكنانى ، والشباب كعمال الفاسى ومكى الناصرى وعبد الله كنون بحركة لتوعية الشعب ، من الوقوع فى حبال تلك المؤامرة ، واندلعت المظاهرات الضخمة فى كل مكان فى المغرب ضد سياسة المحتل التى تعد من جهة نقضا لعهد الحماية ، ومن جهة أخرى محاولة لتنصير البربر ، وهذا يصادم ما ترعمه فرنسا من أنها دولة علمانية لا دينية .

لقد صدرت أبحاث كثيرة حول هذا الظهير ، وكشفت هذه الأبحاث عن البواعث الحقيقية له ، وأدرك الشعب فى وعى صادق أحقاد المحتل الغاصب واتحدت كلمة العرب والبربر على العمل فى سبيل العقيدة والوحدة ، وبلغ من نفور البربر وثورتهم على ذلك الظهير أنهم قاموا بانشاء المساجد والمدارس الاسلامية ، والكتاتيب القرآنية ، وكانت الأمواج منهم تأتى الى الرباط يطلبون قاضيا شرعيا بدلا من المحكمة العرفية .

ولم تنجح حركة التبشير التى أنفق المستعمر عليها فى سخاء فى أداء مهمتها ، لأنها لاقت هجوما شديدا من البربر ، وكان هؤلاء يضربون المبشرين فى كثير من الأحيان على الرغم من المحاولات المختلفة لارضاء البربر والتقرب منهم ، وأذكر من ذلك أنه كان فى جبال الاطلس مركز للرهبان به مكتبة عظيمة ، وكانت تلقى فيه محاضرات ودراسات يقوم بها محاضرون مهتازون وكانت الضيافة فى هذا المركز مجانا ، لاغراء الشباب وجذبهم ، ومع هذا لم يحقق هذا المركز شيئا ، وقد أغلق بعد الاستقلال ، واشترت مكتبته إحدى الجامعات الأمريكية .

( ٦ ) ومن الجدير بالذكر حول الظهير البربرى أن الشعب انشأ دعاء خاصا كان الناس يتوجهون الى الله به فى كل مسجد بعد كل صلاة ، وهو « اللهم يا لطيف نسالك اللطف فيما جرت به المقادير ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابرة » .

وكان هذا الدعاء يسبب للفرنسيين ذعرا وخوفا ، وصار اسم اللطيف عنوانا على هذه القضية ، حتى قال أحد القادة الفرنسيين : ما مدى هذا اللطيف ؟ لقد ظننه بعقله المادى القاصر مدفعا ، وما درى أنه فوق ظننه وتصوره ، وأنه القوة التى لا تغلب لأنها تهيمن على هذا الكون وببدها كل شئ واليها المآب ..

وخلاصة القول أن الظهير البربرى قوى الوحدة الوطنية بين العرب والبربر ولم يحقق لفرنسا ما كانت تحلم به وتسعى اليه ، فأكرهته على العدول عنه .

٧ — وسألت الأستاذ كنون ، هل كان هذا الظهير الخطر الوحيد الذى تعرض له الاسلام فى المغرب ؟

فقال : لقد تعرض الاسلام لخطر آخر ، تمثل فى ظهور الحركة البهائية وبخاصة فى اقليم الريف ، ومن المؤسف أنها جاءت من طريق الشرق على ايدى بعض المدرسين الذين جاءوا للعمل فى المغرب وأدى اعتناق بعض الرجال لمبادئ البهائية الى مشكلة أثارت الرأى العام وبسببها حملت الصحف الأجنبية على المغرب حملة مغرضة تحركها بواعث الحقد والكيد للإسلام والمسلمين ، وذلك أن كل امرأة كان يعتقد زوجها مبادئ تلك النحلة الضالة فأنها كانت تذهب الى المحكمة تطلب الطلاق ، لأن زوجها لا يفتسل من الجنباء ، ولا يعترف بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ، وكانت المحكمة تستدعى الزوج فيعترف أمامها بما قالت زوجته فتأمر بسجنه .

وتطور الأمر بعد ذلك الى حملة ضد البهائيين جميعا ، وكان للعلماء المغاربة دورهم البارز فى مقاومة هذا الانحراف ، وقد أعدم بعض البهائيين ، لاصرارهم على اعتناق تلك المبادئ الفاسدة ، كما سجن كثير منهم ، وقد فر بعضهم الى أوروبا ، وقاموا هناك بضجة خطيرة نجم عنها أن الصحف الفرنسية أخذت تنشر المقالات العديدة تهاجم المغرب وتزعم أن محاكم التفتيش عادت فى القرن العشرين فى هذا القطر . كما نجم عن تلك الضجة أيضا تظاهر عدد كبير من الأمريكيين والانجليز ضد المغرب ، وكانت هذه الاعمال فى الواقع لا تحركها الرغبة فى حماية البهائيين ولكن تشويه الاسلام والحملة على المؤمنين به ، وقد لجأت الحكومة المغربية بسبب نشاط البهائيين فى أوروبا وأمريكا الى الافراج عن بعض المسجونين البهائيين ، ثم خفت صوت البهائية بعد ذلك فى المغرب وتلاشى شيئا فشيئا « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

٨ - وقلت للأستاذ كنون يبدو ما ذكرتم أن لعلماء المغرب جهادهم العظيم فى ميدان الدفاع عن الاسلام فماذا عن هذا الجهاد غير ما اشرتم اليه ؟ فقال :

لقد حاول الاستعمار الفرنسى أن يتعاون مع الصوفية فى المغرب ، ونجح فى هذا بعض النجاح لجهل كثير من الصوفيين أو غرورهم ، وكان على علماء المغرب أن يبينوا للشعب أهداف التعاون بين الاستعمار وحركة التصوف ، وقادهم هذا الى الدعوة الى السلفية عقيدة وعملا ، وكان لهذه الدعوة تأثير على حركة التصوف ، فضعف نشاطها ، كما كان لها تأثيرها على المذهبية فى الفقه ، فقل المتعصبون لها ، وهذا يدل على أن علماء المغرب كانوا متحررين لا جامدين ..

وبعد الاستقلال قام هؤلاء العلماء بتأسيس جمعيات تحمل أسماء مختلفة لكنها كلها تسعى نحو غاية واحدة ، وهى تطوير التعليم الدينى ، والمطالبة بشرعية القوانين وحماية الاخلاق والقضاء على الفساد ومظاهر الانحلال ، وكل ما خلفه الاستعمار من نظم وعادات لا يقرها شرع الله .

وحين حاولت وزارة التعليم المغربية التهوين من شأن جامعة القرويين وتضييق مجال عملها اجتمع علماء المغرب فى صورة مؤتمر عام ، وكان اساس هذا المؤتمر هو وضع نظام هذه الجامعة التى تعد رائدة التعليم الدينى فى المغرب كله .

وكان أهم ما أسفر عنه هذا المؤتمر ، هو انشاء رابطة علماء المغرب ،

وهي تجمع خيرة هؤلاء العلماء ، ولها مهمة مقدسة تتمثل في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، ومقاومة التبشير ، والمطالبة بشرعية القوانين والمحافظة على التعليم الديني وبخاصة جامعة القرويين ، وأن يظل لها كيانها المستقل فلا تدمج في الجامعات المدنية ، كما حدث في بعض البلاد الإسلامية .

والرابطة تعتقد مؤتمرا عاما على رأس كل عامين يشترك فيه كل العلماء المغاربة ، ويصدر قرارات وتوصيات داخلية وخارجية على مستوى الأحداث وأذكر مثلا أن الرابطة تدخلت في قضية باكستان الأخيرة ، وأن لها مواقفها الهامة من قضية فلسطين والوجود الصهيوني الدخيل في الوطن الإسلامي . وللرابطة جريدة اسمها الميثاق تصدر نصف شهرية مؤقتا : لنشر أفكارها والدعوة الى مبادئها . . « والجدير بالذكر أن الأستاذ كنون أمين عام للرابطة منذ انشائها » .

٩ - وعن مدى تمسك الشعب المغربي بعقيدته ، قال الأستاذ كنون :

ان قضية الظهير البربري ، وظهور البهائية في اقليم الريف بوجه خاص يشيران الى أن الشعب المغربي متمسك بعقيدته الإسلامية ، غيور على دينه ، ومن دلائل ذلك أن الشعب لا يبخل بماله على انشاء المساجد الكثيرة ، فضلا عن جهود وزارة الاوقاف المغربية في هذا المجال وايضا فان المكتاتيب التي تعلم القرآن منتشرة في البلاد ، وهذه المكتاتيب انشأها الشعب ورعاها وانفق عليها ، وأن كانت وزارة الاوقاف تقدم اليها بعض الهبات . . ومن مظاهر حرص الشعب على عقيدته وجود الحركات الإسلامية مثل جمعية شباب النهضة الإسلامية التي يرأسها الشيخ أبو بكر القادري ، وتصدر مجلة الايمان ، وجمعية عباد الرحمن وتصدر مجلة الأمانة .

وبالإضافة الى كل ما سلف ، هناك حركة نشر في ميدان البحوث والصحافة الإسلامية ، للحديث عن الاسلام والدفاع عنه ، ككتاب « المغرب المسلم ضد اللادينية » للأستاذ ادريس الكتاني ، هو دراسة عميقة وافية عن الصراع بين الاسلام ومحاولات تشويهه والكيد له ، ويقظة الشعب المغربي لكل المؤامرات التي حيكت بقصد بتر الصلة بينه وبين ماضيه الإسلامي العريق ، أما الصحافة الإسلامية ، فهي عديدة ، مثل دعوة الحق ، والميثاق والارشاد ، والايمان ، والامانة والبيئة ، وتصدر وزارة الاوقاف مجلة للعلماء والمغاربة الذين يعيشون في غير المغرب وبخاصة في أوروبا ، ولذا تصدر سهلة العبارة جدا وكاملة الضبط .

ولكن الذي لا سبيل الى انكاره مع هذا ان الزحف الحضاري المعصرى على المجتمعات الإسلامية ، وما يحمل معه من الشك ، وقلّة البلاة باقامة الشعائر الدينية ، وما يحرض عليه من مظاهر الانتحلال والفساد ، له تأثيره لا في المغرب فحسب بل في كل المجتمعات الإسلامية ونحن في بلادنا نحاول جادين القضاء على كل ما يخالف تعاليم الاسلام ، ومن أجل هذا يطالب علماء المغرب بأن تكون في أيديهم السلطة ، فالكلمة وحدها لا تكفى ، وكنا حين نشدت الازمة بيننا وبين المسؤولين نلجأ الى الملك فكان دائما في صف العلماء ، صدر قانون خاص بالضريبة على التركات ، وقاومنا هذا القانون ، لأنه يتعارض مع مبادئ الاسلام ، وبلغ الملك ما ندعو اليه

ونطالب به ، فطلب من العلماء أن يجتمع بعضهم مع وزير المالية ، وجرت بيننا وبين هذا الوزير مناقشة حول ذلك القانون واقتنع الرجل ، فالفى قراره .

١٠ - والذي لا جدال فيه أن البلاد الإسلامية قد غزتها مظاهر الحضارة المادية المعاصرة بما تحمله من سجون وأمراض وأن هذا الغزو أخطر عليها من الغزو العسكرى الذى أصيبت به ، لأن ذلك الغزو نشأ عنه فى المجتمعات الإسلامية نوع من الانفصام أو ازدواج بين أبنائها فى طرائق التفكير ومنهج السلوك ، فهناك الذين لا يبالون بتعاليم الإسلام ويذهبون الى أنها لا تصلح للتطبيق الآن ، لأنها ان كانت قد صدصلحت لعصر الجميل والصحراء ، فلن تصلح اليوم لعصر الصاروخ والفضاء .. وهؤلاء يعرفون عن ثقافة غيرنا أكثر مما يعرفون — ان كانوا يعرفون — عن ثقافتنا وتراثنا وحقائق ديننا .

وهناك من يرمى تعاليم الإسلام ويأخذ نفسه بها فى القول والعمل ، ويدرك كل الإدراك أن سبيل الخير والنصر لهذه الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس هو الاعتصام بحبل الإسلام فى كل ما جاء به ، غير أن الذى تأسى له النفس أن هؤلاء لا يملكون من الأمر شيئاً فى المجتمع الإسلامى فى كل مكان بوجه عام .

١١ - وقتلت للعالم المجاهد ، وماذا ترون لتحرير المجتمعات الإسلامية من هذا الانفصام ، ولتعاون علماء المسلمين جميعاً من أجل أن يكون للإسلام ومبادئه الكلمة العليا فى هذا العصر الذى يهوج بمختلف التيارات المذهبية والسياسية ، والذى يتصارع فيه أصحاب تلك المذاهب رغبة فى القيادة والسيطرة وبسط النفوذ ؟

وجاء جواب الأستاذ كنون دعوة صريحة الى أن يكون للعلماء دور على فى الحياة حتى يؤدوا رسالتهم على أحسن وجه وأشرف غاية ، فقد قال :

ان انقاذ المجتمع الإسلامى من هذا الانفصام الذى أوهى بين المسلمين روابط الوحدة وعناصر القوة هو أن يلتزم السياسة والقادة فى كل البلاد الإسلامية بما دعا اليه الإسلام وسبيل ذلك أن تكون للعلماء المسلمين مشاركة فى الحياة السياسية وتثيل فى المؤتمرات واللقاءات التى تتم بين قيادة العالم الإسلامى ، وأذكر مثلاً مؤتمر القمة الإسلامى الذى انعقد فى المغرب ، لماذا لم يمثل فيه العلماء المسلمون ، وبخاصة الذين يهتمون منهم بالقضايا الإسلامية المعاصرة ؟

ان الكلمة وحدها لا تكفى ونحن فى زمن يزعم الله فيه بالسلطان ما لا يزعم بالقرآن ، ولكننا نريد السلطان الذى يخشى الله فى الرعية حتى يحملها على الجادة السوية وحتى لا يحيد عن شريعة العدل ودعوة الحق ، ومن ثم كان لا بد أن يشارك العلماء فى الحياة والا تكون مهمتهم قاصرة على القول دون العمل والتنفيذ .

١٢ - ولكن كيف يصل العلماء الى هذا ، وانى لهم ان يفرضوا رأيهم ويشرفوا على الأخذ به وعدم التفريط فيه ؟



ان العلماء الآن فى المجتمع الاسلامى لا يتعاونون تعاوناً مجدياً مثيراً ، والاتصال بينهم محدود وغير مفيد ويمثل هذا الاتصال فى رابطة العالم الاسلامى بمكة وفى مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، ومع احترامى وتقديرى لما تبذله رابطة العالم الاسلامى من جهد ، وما يقوم به مجمع البحوث من عمل ، فانى ادعو الى ان يتسع نطاق التعاون والاتصال بين علماء المسلمين وان يتحرر من قيود السياسة وأن يكون هناك تخطيط مدروس للعمل المثمر النافع الذى يواجه كل ما يتعرض له العالم الاسلامى من مشكلات فى الداخل والخارج .

ومع هذا الاتصال يجب امتزاج العلماء بالحكام ، وان يحتل العلماء مراكز القيادة كما كان أسلافهم يفعلون ويؤثرون فى الحياة ابلغ تأثير .

ان ابعاد العلماء عن مراكز القيادة كان جناية ، لانه جعل الحياة السياسية تسير فى طريق تخفه أشواك الاستبداد والطغيان والبعد عن شعائر الدين ، بيد أن الذى لا مناص من الجهر به أن تحية علماء الدين عن مراكز القيادة تقع تبعته على هؤلاء العلماء أيضاً لأنهم بما أخذوا اليه من الدعة وبما فرطوا فى حق أنفسهم من الرضا بما لا يجدر بهم ، وبما انصرفوا اليه من دراسات لا تيسر لهم الانفتاح الفكرى والابتكار العلمى ، جمدوا وتخلفوا ، ولم يستطيعوا ان يؤكدوا صلاحية الاسلام لكل زمان وكل مكان .

ان الاسلام دين العلم ، ولكنه العلم القائم على الايمان ، ودين الحضارة ، ولكنها الحضارة التى تحترم الانسان فلا تفرق بين الناس بسبب الألوان والاجناس ، وقد انتقد هذا الدين البشرية منذ أربعة عشر قرناً من وهدة التخلف الدينى والفكرى والخلقى وهو صالح اليوم كل الصلاحية لانقاذها مرة أخرى من هذه الحضارة المادية التى امتهنت كرامة الانسان على الرغم من مظاهرها الخلابة ، ومبتكراتها العلمية الرائعة . ومن ثم تبدو مسئولية علماء الاسلام جسيمة ، ورسالتهم اليوم خطيرة ، وعليهم أن ينهضوا بها نحو المسلمين والبشرية كلها حتى يعود للحياة أمنها وكرامتها وحريتها .

١٣ — وبعد فانى أقدم للعالم والمجاهد الكبير الاستاذ عبد الله كنون اعقب الشكر على حديثه القيم الذى القى ببعض الضوء على الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق الذى اثار فيه الى رسالة العلماء فى العصر الحديث ، وأرجو أن تتاح فرصة أخرى للحديث عن آثار الاستاذ كنون العلمية ، فهى تمثل انتفاضة الفكر الاسلامى المعاصر فى جزء عزيز من الوطن الاسلامى الكبير .



## للشيخ عبد العزيز بن باز

الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن — رحمه الله — وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال إمامهم وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب — صلى الله عليه وسلم — الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وصبر على الدعوة إلى ربه أتم صبر واكمله حتى أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجا ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا في الدعوة ونشروا لواء الاسلام في غالب المعمورة لكمال صدقتهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل في جميع الأحوال فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح وبذلك انتصروا على

لقد رفع الله شأن الدعوة إليه وأبلغ في الثناء عليهم حيث يقول سبحانه : ( ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ) ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ويخفف عبء الدعوة إلى الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري — رحمه الله — أنه تلا هذه الآية الكريمة ( ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ) الآية . فقال : هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته ، وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله . انتهى . ولا ريب أن الرسل — عليهم الصلاة والسلام — هم سادة الناس في الدعوة وهم أولى الناس بهذه

العبادة لغيره ولا يستحقها سواه  
سبحانه وتعالى وليس المقصود من  
الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ  
المال واسترقاق النساء والذرية .

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن  
الإسلام التي يشهد له بها أهل  
الانصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه  
وذلك من رحمة الله الحكيم العليم  
الذي جعل هذا الدين الإسلامي دين  
رحمة وإحسان وعذل ومساواة يصلح  
لكل زمان ومكان ويفوق كل فئان  
ونظام ولو جمعت عقول البشر كلهم  
وتعاضدوا على أن يأتوا بمثلته أو  
أحسن منه لم يستطيعوا إلى ذلك من  
سبيل فسبحان الذي شرعه ما أحكمه  
وأعدله وما أعلمه بمصالح عباده وما  
أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما  
أقربها من العقول الصحيحة والفطر  
السليمة ، فيا أيها الأخ المسلم ، ويا  
أيها المعقل الراغب في الحق تدبر  
كتاب ربك وسنة نبيك — صلى الله  
عليه وسلم — وأدرس ما دلا عليه من  
التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة  
والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفى قلبك  
ويروى غلتك ويشرح صدرك ويهديك  
إلى سواء السبيل .

أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب  
السبق في كل ميدان وهم أولى الناس  
بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة  
التي ذكرها الحسن وكل من سار على  
سبيلهم وصبر على الدعوة إلى الله  
وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هذا  
الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية  
الكريمة والصفات الحميدة التي وصف  
بها الحسن الدعوة إلى الحق ، وقد  
صح عن النبي — صلى الله عليه  
وسلم — أنه قال : **( من دل على خير  
فله مثل أجر فاعله )** وقال — عليه  
الصلاة والسلام — : **( من دعا إلى  
هدى كان له من الأجر مثل أجور من  
تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا )**  
وقال لعلى — رضي الله عنه — لما  
بعثه إلى خيبر : **( فوالله لأن يهدي  
الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر  
النعم )** وفي هذه الأحاديث وما جاء  
في معناها تنبيه للدعاة إلى الله  
والمجاهدين في سبيله على أن المقصود  
من الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه  
هو هداية البشر وإخراجهم من  
الظلمات إلى النور وانتشالهم من  
وهدة الشرك وعبادة الخلق إلى عز  
الايمان ورغبة الإسلام وعبادة الإله  
الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح

# محمد بن عبد الوهاب

لأستاذ السنين سعد الرويشد

ان دراسة مناقب الاعلام تملأ الاجيال المتأخرة روحا تقدمية ونفسا طموحة الى العلا شريطة أن تكون تلك الدراسة موزونة بميزان الكتاب والسنة ، وذلك كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ( كنا اذل أمة فاعزنا الله بالاسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره اذلنا الله ) لذلك يطيب لى أن أقدم هذه السيرة العطرة لنابتة البلاد العربية ولأجيالها الصاعدة خصوصا ولكافة المسلمين عموما لتكون حافزا لهم على التمسك بدينهم وعقيدتهم خالصا من شوائب الشرك والبدع .

## نسب الامام :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها الى تميم الى نزار بن معد بن عدنان ، وهو امام الدعوة السلفية الحديثة والمجدد للعقيدة الاسلامية السليمة .

## مولده ونشأته :

ولد رحمه الله فى بلدة العيينه بنجد قريبا من الرياض العاصمة السعودية سنة ١١١٥ هـ — ١٧٠٣ م فى بيت توارث بنوه العلم والتقى كابرا عن كابر ، وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيا وكذلك كان جده — سليمان من قبله . وقد نشأ الامام نشأة صالحة ، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما ، وأكثر من القراءة والإطلاع

علم من أعلام الفكر العربي الإسلامي  
والمجدد للعقيدة الإسلامية الصحيحة  
وقد أمد الدعوة الإسلامية السلفية  
ورأس من رؤاد النهضة الحديثة

على الكتب المتداولة بين الناس في ذلك العهد ، وكان ذكيا المعيا ينفذ بذهنه وعقله الى ما وراء النصوص المدونة ، ويميز بين الحق منها والبهرج فلم يجد فيما قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم ، فأعجب بها ومال اليها ، ورأى كثيرا مما نعه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلا أمام عينيه في معتقدات قومه وأعمالهم لا سيما العامة منهم فهو اذا من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما وان آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الاثر في توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته .

### رحلاته العلمية :

وتطلع الشيخ الى افق علمي ارحب فذهب الى مكة المكرمة حاجا لله تعالى ، وملتصا فيها من العلماء من يشفى غلته ويروى ظمأه ، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل الى المدينة المنورة ، والتقى هناك بالشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف وهو عالم من أهالي الجمعة بنجد أقام بالمدينة ، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه كما أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندی .

### رحلة الامام خارج الجزيرة :

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس ان غيه كفاية وغناء ،

بل لا بد لها أن تنشأ الكمال ، وتسعى إليه ، وتستعذب الصعاب ، وتركب  
 الأهوال ، وتعصم بالصبر ، وتطلب الحقيقة في مظانها لعلها تنظر بشيء منها ،  
 وهكذا كان شأن الشيخ فلم يجد بدا من الرحلة الى بعض العواصم الإسلامية  
 التي اشتهرت بكثرة العلماء فيها وتوارثت البحث في مسائل الدين وعقائده ، فرحل  
 الى العراق ، ونزل ببلدة الزبير من أعمال البصرة ، وأخذ عن أحد فقهاء الشيخ  
 محمد المجموعى ولكن الامام لم يقتنع بالسمع والحفظ ، بل برح يناقش ويحاول  
 ويحص ويوازن بين ما يلقى اليه وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، فوجد  
 فيها يقوله العلماء ميلا وانحرافا وخروجا عن نصوص الدين وتعاليمه وساء ما  
 عليه الناس من خرافات وأباطيل فجاهر بأرائه هذه فأنكر ونقد كثيرا من بدع  
 الناس وضلالاتهم وفساد عقائدهم ، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه وخرج  
 منها في وقت الهجير خائفا يترقب بلا زاد ولا راحلة ، وما كان الله ليترك مجاهدا  
 في سبيل دينه فقيض له رجلا من أهل الزبير وهي بلدة عراقية أكثر سكانها  
 نجديون فأعانته وحمله على دابته حتى بلغ به هذه البلدة ، وفكر الشيخ بعد ذلك  
 في مواصلة الرحلة الى بلاد الشام لعله يجد فيها خيرا مما لقي بالعراق ، ولكن  
 الله أراد أن يريجه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر ففقد ما كان معه  
 من مال . وقفل راجعا الى بلاد نجد ، ونزل بالاحساء ، وأقام مدة لدى الشيخ عبد  
 الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي من رجال الدين والعلم بها ،  
 وكان والد الامام قد انتقل من العيينة الى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم  
 قريته محمد بن حمد بن معمر أدى الى عزله عن قضائهما فرحل الامام الى أبيه  
 وأقام معه في بلدته الجديدة .

### تنفيذ الدعوة ومراحلها :

بدا الشيخ دعوته في حريملاء ولم تلق هناك نجاحا يذكر ، ولكنه لم ييأس  
 ولم يقنط وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والده في عام ١١٥٣ هـ — ١٧٤٠ م  
 وهنا أعلن دعوته وجد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتبعة بعض أهلها  
 وأيدوه ولكن كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيثون في الأرض  
 فسادا ويجاهرون بالفسق والمعاصي ، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم  
 وتنفيذ حكم الشرع فيهم ، فأضمرؤا له البغضاء ، وحاولوا الفتك به ، فحماه الله  
 منهم ، وردهم على أعقابهم .

ولم يطب للشيخ مقام بحريملاء بعد هذا الحادث فانتقل الى مسقط رأسه  
 بالعيينة ، وتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالترحيب وعاونته في دعوته  
 وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصا بعد أن أصهر الشيخ الى أسرته ،  
 وقد تبعه كثير من الاهالي ، ثم شرع في تنفيذ مبادئه عمليا فاستأجر أناسا ليقوموا  
 بقطع الأشجار التي يعظمها العامة ، ثم خرج بنفسه الى كبراهن فقطعها .

ولكن أمر هذه الأشجار كان هينا ، وهناك ما هو أشد منه وأخطر ولا بد  
 للشيخ أن يمضي في طريقه بلا وجل ولا تردد فاتجه بذهنه الى قبر ( زيد بن  
 الخطاب ) رضي الله عنه بقرية ( الجبيلة ) وأعد العدة لهدمه واستعان بعثمان  
 لحمايته فاستجاب له ، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله فتقدم  
 الشيخ وهدمه بنفسه حتى أتى عليه ومضى في سياسته العملية « فأقام حد الزنا  
 ونفذ أحكام الشريعة » ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيئته وأقبل كثير من الناس  
 عليه مبايعين معاهدين .

## مناواة الدعوة :

وبينما الدعوة تشق طريقها الى القلوب الصلدة فتصدعها والى العقول الضالة فتدفعها والى النفوس الظالمة من العلم فتبل صداها وتجلو صدا الجهالة الذي ران عليها ، نرى محمد بن عريعر الحميدى حاكم الاحساء والتطيف ينذر عثمان بن معمر بالثورة عليه وقطع الخراج عنه ان لم يقتل الشيخ ويقضى على دعوته ، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلده ، ويوعز الى أحد رجاله بقتله اذا صار بين العينية والدرعية ، ويهم الرجل بتنفيذ ما أمر به فيأخذه الرعب والفزع ولا يستطيع أن يمد له يدا .

## آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه :

نزل الشيخ بالدرعية فى عام ١١٥٨ هـ فى بيت رجل يسمى محمد بن سويلم العرينى فأواه وأكرم وفادته ، ولكنه كتم أمره خوفا من بطش الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الاول ورجاله ظنا منه أن الأمير يأبى تعريض بلاده لانقسام دينى وفتنة تعكر صفو الأمن فيها وأخذ الشيخ يبيت دعوته سرا ، ثم لم يلبث أن جهر بها حين استطاع أعوان الشيخ أن يقنعوا الأمير بمناصرته وتأييده فأقبل عليه وبأيعه على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيله وتنفيذ أحكام الشريعة الفراء ، ومن ثم تظاهر وتضافر الدين والسياسة ، ودخلت الحركة فى طور جديد اشتد فيه ساعد الشيخ ، وتابعه أهل الدرعية وكانوا له أنصارا وأعوانا وبدأ الشيخ يرأسل ذوى الراى فى البلاد النجدية من قضاة وعلماء وأعيان ، فاستجاب بعضهم وصد عنه كثير منهم ، ورموه بالجهالة والمروق وغير ذلك من — النقاىص وأنذروا به ، وبدأوا يعدون العدة للفتك به وتمزيق حركته .

لم يكن بد حينذاك من الجهاد وامتشاق الحسام فاندلعت الحرب فى بلاد نجد واتخذت أدوارا عدة واستشهد فيها كثير من بينهم ولدا الأمير محمد بن سعود . فحصل وسعود . ثم توالى الحروب والغزوات وتآلب الاعداء من كل جانب الى أن توفى الأمير وتولى بعده ابنه عبد العزيز فواصل الكفاح المر وانتصر على كثير من خصومه واستولى على الرياض والقصيم والخرج وغيرها من البلاد .

## الخطر الخارجى :

على أن هذه الحروب لم تظل فى دائرتها الداخلية الضيقة فقد هجم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الاتراك العثمانيين وكل يدعى الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه ، فغلبت أفكار المسلمين فى سائر البلاد وتقدفت السياسة فى هذا الصراع بسيل من الدعايات المغرضة ، وخيلت للناس أن الشيخ متنبئ جديد يحاول القضاء على الاسلام والتعفية على آثاره ، واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه فى كل مكان .. وتوفى الشيخ رحمه الله فى ابان هذه المارك سنة ١٢٠٦ هـ — ١٧٩٢ م وله من العمر اثنان وتسعون عاما ، ولا يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد لكنه رأى مبادئه الاصلاحية ودعوته الاسلامية السلفية تشق طريقها ، وتسود فى جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاءه فى نشر دعوته الى يومنا هذا والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظيمة .

وإذا كانت الحروب قد نالت من النجديين وأثقلت كواهلهم حيناً من الدهر ، فإنها كانت الصقال الذى شحذ عزائهم وحرك همهم وأثار حماسهم للدفاع عن حوزة بلادهم ونصرة مبادئهم وكان لهم الغلب فى آخر المطاف .

والسر فى نجاح النجديين فى حركتهم هذه يرجع الى قوة الايمان التى بثها الشيخ فيهم والصمود فى سبيل الدعوة والاستبسال فى الجهاد وتمبئة قسوى الشعب وتعليقه غنون الحرب الى جانب تعاليم الشريعة فلقد كان بمنزل الشيخ مدرسة تسمى ( وكر التوحيد ) تلقن فيها علوم الدين طرعى النهار وغنون الحرب فى أوسطه .

### خطب الشيخ ورسائله :

قضى الشيخ طوال حياته واعظاً ومرشداً مبيناً لأحكام الدين حاضاً على اتباعه والعزوف عما ينافى التوحيد من — ضلال وبدع وشرك ومحرضاً على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، وقد حفظ بعض أفعاده كثيراً من خطبه . ولقد كان فى خطبه يميل الى مخاطبة قومه باللغة التى يفهمونها وكان همه منصرفاً الى المعانى لا الى العبارات — والتفات فى الأساليب ولو فعل لأضاع كثيراً من جهده سدى ، فما كانت البيئة النجدية فى زمنه تتقبل غير الطريق الذى سار عليه .

### مثال من رسائل الشيخ :

وهذه رسالة من رسائل الشيخ التى يشرح فيها عقيدته السلفية وهى رسالة موجهة منه الى أهل القصيم بنجد قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم : أشهد الله ومن حضرنى من الملائكة وأشهدكم أنى أعتقد ما أعتقد أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث والموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله — الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل بل أعتقد أن الله ( ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ) فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ولا أحد فى أسمائه وآياته ولا ، أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه لأنه تعالى لاسمى له ولا كفاء ، ولا ند له ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره وأصدق من أهل التحريف والتعطيل فقال تعالى ( سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ) فالفرقة الناجية وسط فى باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية وهم وسط فى باب وعيد الله بين المرجئة والمعينية . وهم وسط فى باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ، وهم وسط فى باب أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج ، وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عبادته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأؤمن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شئ الا بأمره ، ولا يخرج عن مشيئته ، وليس شئ فى العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور ، وأعتقد لكل ما أخبر



به صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت وأومن — بفننة القبر ونعيمه وبإعادة  
الارواح الى الاجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرا لا تدنو منهم  
الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد ( فمن ثقلت موازينه فأولئك  
هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون )  
وتنشر الدواوين فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله ، وأومن بحوض نبينا محمد  
صلى الله عليه وسلم بعصرة القيامة ، مأؤه أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل  
آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأومن بأن  
الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم . وأومن بشفاعة  
النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع ولا ينكر شفاعة النبي الا  
أهل البدع والضلال ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضا كما قال الله تعالى  
( ولا يشفعون الا لمن ارتضى ) وقال ( من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ) وهو لا  
يرضى الا التوحيد ولا ياذن الا لأهله . وأما المشركون فليس لهم فى الشفاعة  
نصيب كما قال تعالى ( فما تنفعهم شفاعة الشافعين ) وأومن بأن الجنة والنار  
مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان وأنهما لا يفيان وإن المؤمنين يرون ربهم  
بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ، وأومن بأن  
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح ايمان عبد  
حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق  
ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم  
أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضى الله  
عنهم . وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم ، واستغفر لهم ، وأكف عن  
مساوئهم واسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى ( والذين  
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل  
فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ) وأترضى عن أمهات المؤمنين  
المطهرات من كل سوء ، وأقر بكرامات الاولياء الا أنهم لا يستحقون من حق الله  
شيئا ، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له الرسول صلى الله  
عليه وسلم ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحدا من المسلمين  
بذنبيه ، ولا أخرج من دائرة الإسلام ، وأرى الجهاد مع كل امام برا كان أو فاجرا  
وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه  
وسلم الى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبيطه جور جائر ولا عدل عادل .  
وأرى وجوب السمع والطاعة للأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية  
الله . ومن ولى الخلافة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، وأرى هجر أهل البدع  
ومباينتهم حتى يتوبوا . وأحكم عليهم بالظاهر وأكل أسرارهم الى الله ، وأعتقد أن  
كل محدثة فى الدين بدعة ، وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد

بالحنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، وهو بضع وسبعون شعبة اعلاه شهادة أن لا اله الا الله وادناها امانة الأذى عن الطريق ، وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة . فهذه عقيدة وجيزة حررتها لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول شهيد ) .

### أثر الشيخ فى النهضة العلمية والأدبية :

لا مرأى فى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الصرخة المدوية ، والصيحة التى نهبت الأمة من وقدتها ، ووجهت الانظار الى البحث والجدل ومناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل ، وحملت الناس على النظر فى الكتاب العزيز ، واستظهار كثير من آياته ومن الحديث النبوى الشريف وهما الغاية القصوى فى البلاغة والبيان والعلوم الدينية والعربية تتشابك وتترابط ولا يمكن الفصل بينها إذ أن علوم اللسان العربى كلها ما قامت الا لخدمة الكتاب والسنة وفهمها فهما صحيحا فكان لا بد من قيام حركة علمية شاملة ونهضة فكرية عامة ولكن لم تتكامل الاسباب لتنظيم هذه النهضة وتعميمها الا قريبا ، ومع ذلك خطت خطوات واسعة الى الامام ، وإذا سارت الامور على هذا المنوال فاتها تبشر بظهور فجر جديد يجعل من هذه الجزيرة كما كانت من قبل منهلا للآداب ، ومنبعا للعلوم والمعارف ، ومهدا للحضارة الحقبة والمدنية الصادقة .

### مؤلفات الامام وآثاره العلمية :

وتفسير شهادة أن لا اله الا الله ، وكتاب التوحيد وكشف الشبهات فى معنى التوحيد وما يخالفه ، وكتاب معرفة العبد ربه ودينه ، وكتاب مفيد المستفيد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومختصر الانصاف ، وكتاب الكبائر ، وله رسالة فى التقليد ، ومختصر الشرح الكبير ومختصر الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وكتاب المسائل التى تخالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ، وكتاب التبذة فى معرفة الدين الذى معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به سبب لدخول النار .

### انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية :

ان استيلاء آل سعود على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة فى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الاسلامية ليتعرفوا أهداف الدعوة ويلتقوا بدعاتها ويناقشوهم فيها يدعون اليه ، وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج هذه المبادئ وتعمصوا لها ثم حلوها معهم ودعوا اليها فى بلادهم بعد رجوعهم اليها ، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية الى السودان والى الهند وسومطرة فى آسيا ، وكان هدف دعائها فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتمحيص العقيدة الدينية ، ثم محاولة اقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفيذ الاحكام وتقييم الحدود كما انتقلت هذه الدعوة الى مصر والشام وزنجبار واليمن وكذلك الحركة السنوسية التى ابتدأت فى الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ثم غزت طرابلس بعد ذلك ، وانتشرت فى شمال افريقيا ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت فى السودان وان هذه الحركة السنوسية التى ناهضت الاستعمار فى كل مكان حلت فيه والى

الحركة السنوسية كان فى مكة يطلب العلم وقت استيلاء آل سعود عليها  
فعاشرهم وتلمذ على علمائهم وتأثر بدعوتهم ثم عاد الى الجزائر وابتدأ حركته  
الاصلاحية على ضوء تعاليم الاصلاح الدينية الاسلامية التى أضرم نارها فى  
الجزيرة العربية الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

### الدكتور طه حسين يتحدث باعجاب عن الدعوة وصاحبها :

قال عميد الادب العربى الدكتور طه حسين ( ان الباحث عن الحياة العقلية  
والادبية فى جزيرة العرب لا يستطيع ان يهمل حركة عنيفة نشأت فيها اثناء القرن  
الثامن عشر الميلادى ، فلغتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب واضطرت  
ان يهتم بأمرها وأحدثت فيها آثارا خطيرة هان شأنها بعض الشئ ولكنها عادت  
فاشتدت فى هذه الايام وأخذت تؤثر لا فى الجزيرة وحدها بل فى علاقاتها بالامم  
الاوروبية ، هذه الحركة هى حركة . . الوهابيين التى أحدثها ( محمد بن عبد  
الوهاب شيخ من شيوخ نجد ) ثم ذكر نذرا يسيرا عن نشأة الشيخ ورحلاته  
العلمية ودعوته الى أن قال : ( قلت ان هذا المذهب الجديدقديم المعنى والواقع أنه  
جديد بالنسبة الى المعاصرين ولكنه قديم فى حقيقة الامر ، (لأنه ليس الا الدعوة  
القوية الى الاسلام الخالص النقى المطهر من شوائب الشرك والوثنية . هو  
الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم خالصا لله ملغيا كل  
واسطة بين الخالق والمخلوق . فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما  
كانوا قد عادوا اليه من جاهلية فى العقيدة والسيرة التى أن قال : ولولا أن  
الجاهلين اجتمعوا على حرب هذه الدعوة وحاربوها فى دارها بقوى وأسلحة لا  
عهد لأهل الدعوة بها لكان من المرجو أن توحد هذه الدعوة كلمة العرب فى القرن  
الثانى عشر والثالث عشر الهجرى كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم فى القرن الاول  
ولكن الذى يعنيننا من هذه الدعوة هو أثرها فى الحياة العقلية والادبية عند  
العرب . فقد كان هذا الأثر عظيما وخطيرا من نواح مختلفة فقد أبقت النفس  
العربية فوضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم  
والسنان ) وأخيرا لقد كان لهذه الدعوة أثر عظيم فى العالم الاسلامى اذ كانت  
الشملة الاولى لليقظة الحديثة فى العالم العربى والاسلامى كله تأثر بها زعماء  
الاصلاح فى سائر الاقطار الاسلامية وكل الحركات الاصلاحية مدينة لهذه الدعوة  
الاصلاحية ويمكن تحديد الصلة بينها وبين كل من هذه الحركات اما عن طريق  
الاقتباس او المحاكات او مجرد التأثير والتأثر .

# منجاة المسلمين في الفلبين

قام الأستاذ سامي محمود بتحقيق عن مأساة المسلمين في الفلبين نشرته  
صحيفة ( أخبار اليوم ) القاهرية ننقله للقراء فيما يلي :  
مذبحة تحدث الآن للأقلية المسلمة في الفلبين ..  
الهدف : القضاء على آخر معاقلهم في الجنوب ..  
الخطا : الاستيلاء على ارضهم ..  
الوسيلة الاغتيل المنظم .. الخطف .. نسف المنازل .. والقام القنابل  
على المواطنين .. الطرد من الاراضي ..  
اطلاق النار على المصلين .. اثارة الطائفية ..  
الاداة : جيش شري منظم يطلق على نفسه اسم ( الفران ) ..  
المنجاة مستحيرة بعنف منذ ثلاثة شهور متتالية .. الجمعيات الاسلامية في  
الفلبين استنجدت بالفاينكان ..  
تنكو عبد الرحمن ارسل الى ( ماركوس ) رئيس جمهورية الفلبين يطلب  
منه تقريراً عن مذابح المسلمين ..

ويسألون لماذا ؟

والقصة قديمة عمرها ثلاثة قرون ونصف قرن والفاعل الاول .. اسبانيا ..  
لكن الخطا الجديدة بدأت في اعقاب الحرب العالمية الثانية . وكانت تستهدف  
رشوة زعماء المسلمين ومنهم مناصب كبيرة .. شراء اراضي المسلمين في جزر  
الجنوب خاصة جزيرة ( مندانا ) و ( سولو ) .. تهجير اعداد ضخمة .. من أهم  
المحافظات الاسلامية وهي ( لاناو ) كوتباتو - دافاو - زيموانجا - صولو  
( باسيلان ) زيادة حملات التبشير .. إلغاء احكام الشريعة الاسلامية وسيادة  
القانون المدني على كافة المسلمين خاصة احكام الزواج والطلاق ، واباحة زواج  
المسلمة بغير المسلم - خلط العقيدة الدينية بالخرافات والاسرائيليات . الهجوم

الفكرى المستمر على الاسلام الذى تنزعمه جماعات شريكة لمنظمات صهيونية معاملة المسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية عددهم ٣٥ مليون من مجموع السكان الذى يصل الى ( ٢٤ ) مليوناً — فرص اقل فى التعليم والخدمات الصحية وغيرها . مناطق اسلامية كثيرة لا تعرف شيئاً اسمه الصحف او التليفزيون ، وليس غريباً ان تكتشف قبيلة بدائية تماماً تعيش بأسلوب العصر الحجرى فى جزيرة منداناو .. فى الجنوب الذى تتركز فيه الاقلية المسلمة !

والفلبين تقع من الجانب الغربى للمحيط الباسفيكى جنوب شرق آسيا وتحيط بها أندونيسيا وماليزيا وفورموزا والصين وتشتمل على ٧١٠٠ جزيرة ومساحتها ( ١١٥ ) ألف ميل مربع وعاصمتها مانيلا ويتكلم أهلها أكثر من ٨٧ لغة أهمها اللغة التاجوليكمة والاسبانية والانجليزية ، ويزيد عدد المسيحيين الكاثوليك على ٨٤٪ من السكان ، والمسلمين حوالى ٩٪ . وتقوم الحياة السياسية على حزينين أساسيين هما ( الاحرار .. والوطنيون .. ) وقد وصل اليها الاسلام فى القرن التاسع الميلادى الا أن أول حكم اسلامى كان فى أواخر القرن ١٣ .. ثم احتلها الاسبان فى بداية القرن السادس وتبعهم الأمريكان فى بداية القرن العشرين .. وتشتهر بمعادنها الكثيرة — ذهب وقضة — وكذلك بالمحاصيل الزراعية .. الأرز والسكر والتبأك والمطاط ..

وموقع الفلبين الاستراتيجى فى جنوب شرق آسيا فى قلب الصراع بين أمريكا والصين يفرض عليها أوضاعاً خاصة ..

السفارة تقول :

وقد ذهبت بعدد من القصص والأخبار والأحاديث التى جمعتها اثناء مقابلاتى مع عدد من زعماء العالم الاسلامى ومسلمى الفلبين . وأخبار الوكالات الأجنبية — الأمريكية — خلال هذا الأسبوع وفى موسم الحج وفى عدد من اللقاءات الأخرى فى مناسبات مختلفة .. ذهبت بهذا كله الى المسئولين فى سفارة الفلبين .. حرصاً على أخذ وجهة النظر الأخرى — لكنهم وعدوا بالرد على كل ما سيجيء بهذا التحقيق بعد الرجوع الى حكومتهم لسماع الرد الا أنهم من ناحية أخرى أكدوا أن الذى يحدث ليس حرباً دينية !!! وأن الحكومة شكلت لجنة لبحث مشكلة الأرض ! وأن المسلمين لا يعاملون معاملة الدرجة الثانية .

مذبحة الأحد القادم :

ومهما كان رد المسئولين فى السفارة فان وكالات الانباء نقلت انذاراً وجهه الجنرال جارسيا قائد الجيش الفلبينى الى المسلمين حول مدينة ( بولدن ) والذين سبأهم ( بالقمصان السود ) بأنه ما لم يسلموا انفسهم قبل يوم الأحد القادم فانهم سيتعرضون لهجوم مدمر من قوات البوليس التى يزيد عددها على ( ٢٠٠٠ ) جندي والجدير بالذكر ان صداماً وقع بين المسلمين والمسيحيين يوم الثلاثاء الماضى .. وأرسلت الحكومة قوات لفض النزاع . لكن هذه القوات الحكومية .. تحالفت مع المسيحيين فى قتالهم ضد المسلمين وهاجمتهم بالدبابات والطائرات .. ورغم هذا فان المسلمين المسلحين ببنادق مخلقة من الحرب العالمية استطاعوا أن يقتلوا ٢٠ ويسقطوا طائرة هليكوبتر ويدمروا دبابة وقد أعلن البروفيسور ابراهيم

اسماعيل أحد زعماء المسلمين في الفلبين بيانا اذيع من ( مانيل ) نفسها أعلن فيه ذلك ان ١٠ مسلمين قد ذبحوا كالشاة .

ومن ناحية أخرى فان المسلمين ما زالوا متحصنين في بعض المناطق ومحاصرين بقوات ضخمة من البوليس والجيش وهذه القوات مزودة بمدفعية عيار ( ١٠٥ ) ملليمتر ) وطائرات هليكوبتر ودبابات وقد نسفت إحدى سيارات البوليس المدرعة بلغم أول أمس وهي تحاول الاقتراب من معسكر المسلمين . . وكان الحصار مستمرا وتستعد قوات البوليس لمذبحة جديدة يوم الأحد ١٥/٨/٧١ ومن المقرر أن يكون عدد الضحايا من ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ وهي تقديرات متحدث بلسان البوليس الفلبيني . . ومما يدعو الى الدهشة أنه قد اذيع يوم الاربعاء أن طائرات الحكومة اسقطت منشورات تطلب فيها من المدنيين في بولون اخلاء جزيرة ميندانو — والمعروف أن أغلبية المسلمين يتركزون في هذه الجزيرة .

اسرائيل هناك ايضا :

ويتهم المسلمون في الفلبين وعدد من شهود العيان من الفلبين ايضا — الصهيونية العالية بمحاولة ابادتهم واغراء مسيحيي الشمال بالزحف على اراضى الجنوب الفنية في محاولة لطردهم منها والاستيلاء عليها . . وقد تم بالفعل طرد أكثر من ٥٠ ألف أسرة ما زالت مشردة في الجبال والغابات بنفس الاسلوب الذى استخدم في فلسطين . وجدير بالذكر أن اقرب مستشارى رئيس الجمهورية جنرال صهيونى خطير يدعى ( منسى ) وبلوينير يهودى آخر يدعى اليسالدى .

وطرد المسلمين من ارضهم مشكلة من اغرب المشاكل . فاغلب الاراضى التى يملكها المسلمون توارثوها جيلا بعد جيل لمدة تزيد في بعض الاحيان على أربعة قرون . . وفجأة خاصة في السنوات الثلاث الاخيرة . قررت الحكومة تشجيع هجرة أهل الشمال المسيحي الى اراضى الجنوب المسلمة الخصبة . . ويأتى المهاجرون الجدد ويشرعون فوراً في تسجيل ( اراضى المسلمين ) — وهي غير مسجلة أشبه بالحكر — ويأتون في صباح اليوم التالى بعد التسجيل يطلبون من المسلمين اخلاء اراضيهم . . لان الحكومة سجلت لهم هذه الاراضى — هكذا — يطلبون المسلمين بالأرض ويرفض المسلمون ويلجأ الاقطاعيون واصحاب الاراضى الجدد من المسيحيين الى اعمال العنف والشغب وهي تبدأ عادة بحرق الاراضى وتنسيم المياه والحيوانات . . وتنتهى بالاعتقال والخطف وبقر البطون . . واستمرت هذه العمليات ونمت حتى أصبحت جيشاً رهيباً يطلق عليه اسم الفران أو الـ ( ايلاجا ) . . وهذا الجيش في الحقيقة مجموعات من الرجال الذين دربهم الجيش والبوليس ويشترك المزارعون الجدد في تمويلهم . . اما لماذا لم تسجل الحكومة للمسلمين ارضهم أو تطلب منهم ذلك وهي معترفة بانهم يعيشون عليها من قرون — فلا أحد يدري . . ومن ناحية أخرى عندما طلب المسلمون تسجيل ارضهم رفضوا . . وعندما طلبوا تسجيل اراض جديدة رفضوا ايضا . . وأصبحت أكثر من ٥٠ ألف أسرة مشردة في الغابات والجبال . . يعيشون كالانعام ويتعرضون للقتل وهناك العرض والسلب والموت من الجوع والمرض والبرد !!

## مذبحة للشبان فقط :

ومن أغرب القصص القادمة من الفلبين قصة ( مذبحة الـ ١٦٩ ) شابا مسلما . فقد اختارت السلطات من كل أسرة شابا لتدريبهم في معسكر (كوريبيدور) ولم يبق وقت طويل حتى عرف أنه قد تم إبادة هؤلاء الشبان جميعا عدا واحدا فقط اسمه جيين أرولا استطاع الهرب وروى هذه المذبحة الرهيبة واتصل بعدد من زعماء المسلمين بالقرب من مايتالا وروى لهم تفاصيل ما حدث وكان الهدف إبادة القادرين على المقاومة وحمل السلاح وأحداث موجة زعر رهيبية بين المسلمين . وفي يونيو الماضي حدثت مذبحة أخرى لم يستطيعوا هذه المرة إخمادها . . فقد جمعوا المسلمين داخل المسجد لعقد صلح بين المسيحيين وبينهم - حول مشاكل الأرض - وجلس المسلمون داخل بيت الله . جانحين للسلم مستعدين للصلح وفجأة اقتحم المسجد مجموعة من المسيحيين المسلحين بالمدافع الرشاشة وبدأوا إطلاق النيران . . وأستطاعوا أن يذبحوا ٧٠ بينهم سيدات وأطفال ويجرحوا خمسين آخرين أصيبوا أصابات مختلفة . .

وللرئيس ماركوس مستشار يهودى صهيونى آخر هو ( مانويل اليسالدى جوبير ) . واختصاصه هو شئون الأقلية !!! وهو - المتهم الأول فى الحوادث الأخيرة . . وقام منذ عدة أسابيع بزيارة هذه المناطق وتنظيمها . . وهو فضلا عن كونه مليونيرا فهو وزميله اليهودى الآخر الجنرال منسى يملكون مزارع شاسعة فى الجنوب . . هذا فضلا عن مناجم الذهب والنحاس وطائرة (السندى) الخاصة مثلا هى التى اكتشفت القبائل البدائية وقام ( الستوى ) بتوزيع السلاح على بعض القبائل اللادينية التى تعيش فى الجبال والتى استولى المسيحيون أيضا على أرضهم . . وقد بدأت هذه القبائل عمليات القتل بين المسيحيين وفر أغلبها الى الغابات فى الوقت الذى بدأ فيه المسيحيون عمليات الإرهاب ضد المسلمين ، وكان هدفه إثارة الفتنة . . ومن المعروف أنه على صلة بأحد زعماء قبائل الاغلبية واسمه ( تونيك ) وأنه أمدّه بالسلاح .

## جيش الفئران :

ويجاء المسيحيون فى تنفيذ مخططهم الصهيونى لاجلاء المسلمين من اراضيهم . . الى تكوين جيش سرى مزود بأحدث الأسلحة . . وهو أشبه بجماعات الهاجاناه فى فلسطين . . ويبلغ عدده فى كوتاباتو وحدها نحو ٣٥٠ ألف رجل . . وفى مقاطعة ( واو ) حرقوا البيوت والمزارع وطردوا أصحابها فى الشهر الماضى . . وفى ( باتوت ) أيضا اشترك البوليس مع جماعة الفئران فى احراق مزارع القرية وطرد أهلها واحرق ٥ مساجد و ٨ منازل فى قرية ( بولفان ) . . ونفس الشيء حدث فى ( أبوبى ) لكنهم قتلوا هذه المرة عشرات من النساء والأطفال . . وإلى جانب الفئران توجد عصاية أخرى تطلق على نفسها اسم ( الاخطبوط ) وهى مدربة تدريباً راقيا وتقوم بغارات منظمة على المزارع لافزع أصحابها . . وآخر غاراتهم على ٤ مدن فى كوتاباتو . . بينما اشترك معهم الفئران فى قتل ٦٨ رجلا من المسلمين وجرحوا طفلا ، وأثناء دفاع الشيوخ عن أنفسهم قتلوا ثلاثة من العصاية . . وتعرف هذه المذبحة باسم ( مذبحة الشيوخ ) . . شاهد عيان لمذبحة المسجد الشهيرة فى شهر يونيو الماضى اسمه ( باتكوسوما ) قال ان

القتل لم يقتصر على الـ ٧٠ ضحايا المسجد فحسب بل تعداه الى مدرسة تبعد عنه كيلومترا واحدا وقتل فيها ٧ من الأطفال داخل الفصول .. (توماس) قال أيضا ان رجال العصاة كانوا يرتدون زيا خاصا وانه كان يجلس بجوار زوجته التي قتلت وشقيقته التي أصيبت أصابات بالغة وانه نجا بأعجوبة .. وأكمل قصة المدرسة (أحمد سولاي) عندما قال ان طفليه (نوردين ونورما) وزوجته (لبريرا) وشقيقه (جونون) قد قتلوا أيضا داخل المدرسة .. وان القتل حدث فجأة عندما اقتحمت جماعة من العصاة المدرسة وقتلت الأطفال ..

هذه مجموعة من الحقائق المؤلمة لما يحدث في الفلبين ولا يستطيع أحد أن يتجاهل الحقائق الرهيبة التي تبرز وراء هذه القصص في كلمة واحدة هي محاولة تصفية المسلمين والاستيلاء على أراضهم التي توارثوها لمدة تزيد على أربعة قرون .. وعلى حد تعبير (سالييدا بينون) عضو مجلس الشيوخ المسلم .. انه قد أصبح واضحا لدى المسلمين الآن بشكل لا يدعو الى الريبة ان عملية منظمة لآبادتهم وتصفيتهم في الجنوب تجرى الآن .. وان البوليس يتخذ دفاع المسلمين عن أنفسهم بالعصى والسكاكين والبنادق القديمة التي ينقصها الذخيرة .. ذريعة للقضاء عليهم .. ان الذي يحدث الآن للمسلمين في الفلبين صورة مفزعة — مكررة — لما حدث في فلسطين .. وليس غريبا أن يفود عملية الفلبين اثنان من أعتى الصهاينة اليهود : الجنرال منسى والبلوينير اليسالدي .. وكلاهما يملك مزارع شاسعة في أرض المسلمين !

والمسلمون يقولون اننا نعامل معاملة المواطن من الدرجة الثانية .. المناصب القيادية والمهام ممنوعة .. الجيش نحن الجنود دائما وهم الضباط والجنرالات .. فرص العمل تكاد تكون معدومة للمواطن المسلم العادي .. وكل .. ٤٠ تلميذ لديهم مدرس واحد وكل نصف مليون لديهم مستشفى واحد به ٤٠ سريرا وطبيبيا عاما .. مثلما يحدث في سولو ومنداناو .. مياه الشرب والكهرباء معدومة في أغلب مناطق المسلمين .. المساكن أغلبها من البامبو التي يصنعها الأهالي بأنفسهم المرافق والخدمات معدومة .. القرآن واللغة العربية ممنوعان في كثير من المناطق .. الدعاية المضادة للإسلام .. ونشر الاسرائيليات و (الماسونية) .. الحكومة تستولى على مناطق شاسعة من أراضيهم — وهي دائما غير مسجلة وتوزعها على المسيحيين بواقع ١٠ هكتارات لصغار الملاك .. الحكومة تقيم معسكرات الإصلاح والسجون للمجرمين الخطرين داخل اراضيهم .. الحكومة تشجع هجرات اهل الشمال المسيحي الى غزو مناطق الجنوب .. ووصل عدد المهجرين في السنوات الأربع الأخيرة الى مليون ونصف مليون .. والمهاجرون الجدد مسلحون بالمدافع والعلم والمال .. ومعهم دائما دعاة تبشيريون يقيمون الكنائس والمستشفيات .. المسلمون أصبحوا لاجئين في الجبال والغابات .. الحكومة تطرد الأهالي من مناطق كاملة في حجم المحافظات الكبيرة بحجة عدم التسجيل .. ثم تعيد توزيعها بعد فترة على المسيحيين .. حدث هذا أخيرا في (واو) و (لاناودلسور) و (لاناود لسنترى) وفي (كوتاباتو) .. والسؤال الذي يبرز دائما .. ان لم يكن هذا اضطهادا ومعاملة من الدرجة الثانية وتصفيّة وأرهابا .. فما الذي يمكن أن نسماه ؟! ..



ورغم أن زعماء المسلمين متصارعون دائما في الفلبين بحكم ارتباط مصالحهم بالقوى الاقتصادية والسياسية الرئيسية التي تحكم البلاد والتي تتمثل في حزبى الأحرار والوطنيين .. الا أنهم رفعوا شعارا واحدا هذه الأيام وهو الوحدة للمحافظة على أرواح المسلمين .. واصدروا بيانا وقع عليه ٣٠ من كبار زعمائهم من الحزبين أعلنوا فيه استنكارهم للمذابح الدموية التي تحدث مثل ( مذبحه زبيدة ) ومذابح الجوامع والتفرقة في المعاملة وقلة الفرص المتاحة للمسلمين ، وعدم احترام الشريعة الإسلامية أو الشعائر الدينية .. وعدم معاقبة المسؤولين عن هذه الحوادث دائما ، وتواطؤ البوليس والجيش مع المجرمين .. ومحاولة تصفية المسلمين في الجنوب تماما .. وهم أصحاب البلد الأصليون ..

ورغم أن المسلمين كانت تقودهم حركة إسلامية واحدة الا أنهم انشقوا وتمثلوا في جميعية أنصار الإسلام التي يمثلها أحمد دوموكاو الفتو .. والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ويتزعمه محمد على ديمابورو .. وجدير بالذكر أن الذى ساعد ديمابورو على إنشاء هذا المجلس هو ( ماركوس ) رئيس الجمهورية وزعيم الحزب الوطنى .. وهكذا ترى أن المسلمين منشقون أو كانوا كذلك .. وقد استغلوا دائما كواجهات كاذبة على حسن معاملة المسلمين .. فهم دائما الزعماء فقط — وهم دائما يملكون السيارات الفاخرة والمزارع الغنية — وهى طبعا مسجلة ! — .. ومن الأشياء التي تدعو الى الرثاء أن الحكومة تضع فى وزارتها وزيرا مسلما مسئولاً عن شئون الأقلية — وهى فى أغليها مسلمة — واسمه ( تاتوما ماما ) وتضع له من ناحية أخرى ( كسالدى ) اليهودى مستشار الرئيس .. وطبعا كل السلطة للمستشار الصهيونى .. و ( ماما ) مجرد واجهة ..

بعد الحوادث الأخيرة تجمعت أعداد هائلة من شباب المسلمين المثقفين وعدد من زعماء المسلمين يقودهم — اوتوج ماتالام — و ( الزعيم كاملون ) الذى استمر فى صراع مسلح مع الحكومة ست سنوات ويتحصن هؤلاء فى بلدة ( بابا لومان ) وهى منطقة لم يدخلها غير المسلمين منذ سبعة قرون تقريبا — وقد طالب هؤلاء بفصل اقليم ( مندانا ) و ( سولو ) الذى يتركز فيه المسلمون .. لحمايتهم من المجازر التى تحدث لهم الآن .. وهم من ناحية أخرى يطالبون العالم الإسلامى بالوقوف معهم ومساعدتهم فى الأمم المتحدة ولدى حكومتهم والفاتيكان لانقاذ أرواحهم ..

وقد زاد اتصال مسلمى الفلبين بالعالم الإسلامى منذ مؤتمر باندونج .. وكان السناتور ( أحمد الفتو ) من أشد المتحمسين لذلك .. ودعيت بعد ذلك شخصيات مختلفة من العالم الإسلامى لزيارة مسلمى الفلبين وساعد على ذلك أن رئيس الفلبين ( ماكاباجال ) كان صديقا للرئيس الراحل عبد الناصر .. وكان صديقا أيضا للمسلمين .. وهو الذى دعا الى اتحاد ماليزيا والفلبين واندونيسيا فيما يعرف باسم ( مافلندو ) .. وكانت أهم الزيارات التى قام بها الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف منذ وقت غير بعيد وتوفيق عويضة رئيس المجلس

الأعلى للثئون الإسلامية وقبلها زار الشيخ الباقرى والمرحوم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق .. ويزورها حاليا الدكتور محمد كاظم عبيد كلية التربية بالأزهر والدكتور عبد اللطيف بدوى مدير جامعة الأزهر .. ويدرس أكثر من ١٥٠ طالبا فلبينيا مسلما .. فى جامعة الأزهر .. كما يوجد بعض المدرسين الأزهريين فى الفلبين .

وقد عبر عدد كبير من الشخصيات الإسلامية البارزة فى موسم الحج الماضى عن أسفهم الشديد لما يحدث للمسلمين المسالمين فى الفلبين .. فى بلاد اختارت الإسلام بنفسها دينا لها منذ قرون طويلة .

ومن الأشياء الغريبة ان الاسبان الذين قضوا على الإسلام فى اسبانيا .. هم أنفسهم الذين قضوا عليه فى الفلبين عندما غزوها عام ١٥٢١ .. وكانت توجد فى ماينلا العاصمة سلطنتان إسلاميتان وكان يحكمهما السلطان راجا سليمان .. وأطلق الاسبان على المسلمين ( موريوس ) .. وهو نفس الاسم الذى كانوا يطلقونه على المسلمين فى شمال أفريقيا الذين انتصروا عليهم واستمروا يحكمون اسبانيا لفترة تقرب من التسعة قرون .. ورفض المسلمون فى ماينلا خاصة فى سلطنتى تسرى بيسايس وقاجابات ، ان يغيروا دينهم .. فأبادهم الاسبان .. وبعضهم هرب الى الجنوب والبعض الآخر تظاهر بقبول الاحتلال الاسبانى .. واستمر الاسبان فى زحفهم على باقى الجزر .. لكنهم عجزوا دائما على الوصول الى سلطنتى سولو ومنداناو فى الجنوب واستمرت هاتان السلطنتان من القرن السادس حتى آخر القرن التاسع عشر تتمتع بالحرية والاستقلال .. حتى حل الأمريكان مكان الاسبان فى عام ١٨٩٨ وبقوا فيها حتى عام ١٩٣٦ عندما غزا اليابانيون الفلبين ولم يجلوا عنها الا بانتهاء الحرب العالمية الثانية .

وقد شارك المسلمون المسيحيين وساعدوهم فى تحرير جزر الفلبين كلها وكانوا يحاربون فى ذلك الوقت ، مع الحلفاء .. لكن بعد انتهاء الحرب العالمية .. حل المسيحيون مكان المستعمرين .. وبدأت المأساة .. وخطط لتنفيذ زحف المسيحيين والاستعمار وراءهم الى المناطق التى لم يستطع الاسبان احتلالها والتى ظلت فى الحقيقة ومنذ القرن التاسع الميلادى .. — على أرجح الأقوال — تتمتع بالحرية ونشأ أول حكم إسلامى بالمعنى المفهوم مع بداية القرن الثالث عشر ... وكان بحر الصين والبحر المتوسط دلتا بحيرة إسلامية .. وطريق التجارة الدولى .. الى ان ظهرت قوة البرتغال والاسبان المستعمرة وكان هذا يعنى بداية غروب سيطرة الإسلام فى جزر بحر الصين والبحر المتوسط ..

والسكان المسلمون الأصليون اسمهم ( انديوس ) وهم ينتسبون الى اهل الملايو واندونيسيا من ناحية النوع .. أما ( فلبينى ) فيطلق على الاسبان الذين استوطنوا الفلبين وكذلك على أهلها الذين اعتنقوا المسيحية .. و ( فيليب ) هو ملك اسبانيا فى ذلك الوقت وقد أطلق عليها ..

ومن المؤكد أن الإسلام وصل الى الهند والصين فى وقت مبكر جدا فى القرن الثامن الميلادى .. وأن الجزر المحيطة بهاتين القارتين كانت محطات للتجار

المسلمين والوفود الاساوسية وقوافل التجارة .. لذلك فانه من المؤكد أن هذه المناطق عرفت الاسلام منذ هذا التاريخ .. لكن مع بداية القرن ١٤ تمكن المسلمون تماما من الانتشار السريع فى الملايو وكانت ( ملقا ) منطقة اسلامية .. ومن الملايو انتشر المسلمون الى جنوب شرقى آسيا اندونيسيا ماليزيا الفلبين وكانت هذه الدول فى الحقيقة دولة واحدة كانوا يسمونها الملايو الكبرى وعاصمتها ( جاوة ) وقد قامت أول سلطنة أو حكم اسلامى ادارى بين أواخر القرن ١٣ .. ومن القصص الشهيرة فى تاريخ الفلبين ان سبعة أخوة عرب قدموا الى الفلبين وانهم نشروا الاسلام فيها وكان أبرزهم أبو بكر ويسمونه ( يادو كامها سارى مولانا السلطان شريف الهاشمى ) وان أغلب الدعاة تصاهروا مع الأسر الحاكمة .. وان الشعب ولاهم أمره بعد أن اعتنق دينه .. وأنت لا تجد اطلاقا أى ذكر لقتال .. بل هى الحكمة والموعظة الحسنة .. التى نشرت الاسلام فى الفلبين .. وقد بهرت تعاليم الاسلام أهل البلاد .. ووجدوا فيه حضارة كاملة وقانونا دنيويا وصلة روحية عالية .. لذلك هم الذين دخلوا فى دين الله أفواجا .

وقد ذهل ماجلان عندما وصل الى الفلبين عام ١٥١٩ ووجد الاسلام هناك .. وكان أول ما فعله ماجلان القادم من اسبانيا هو قتل زعماء المسلمين وملوكهم فى مانيلا .. ثم طلب الامدادات .. وقال لحكومته الاسلام الذى طردناه من اسبانيا وجدته هنا .. وذهبت حملات دموية لىابادة معتنقى هذا الدين .. لكن ماجلان شهد نهاية يستحقها عندما قتل بيد الملك المسلم ( لابو لابو ) .

ان قصة الاسلام فى الفلبين بقدر ما فيها من صفحات مشرقة فى الماضى تؤكد حقيقة هذا الدين ، بقدر ما فيها من صفحات دامية ملطخة بالدماء تجرى هذه الايام ويتعرض المسلمون فيها للمذابح الجماعية والطرده والتعذيب والارهاب فى عصر الأمم المتحدة وحقوق الإنسان وحرية العقيدة .. ان قلوب المسلمين كلها معهم وعيونهم دائما عليهم .. وان نصر الله لقريب ..



- ١ -

وكان ذلك فى مطلع شوال من  
العام الثامن من الهجرة ، بعد فتح  
مكة بقليل .

ويعود عمير ليقول من جديد :

(( اى صفوان ..

اى ابن عم .

لن أدعك وطريقك أبدا .

انزل من السفينة ، وعد معى الى  
مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ،  
وأنت أنت ابن مكة ، وشریف العشيرة  
وسيد القوم ، وفيها صاحبك وأولادك  
وأموالك » .

وكان صفوان سيد بنى جمح ، بعد  
أبيه أمية بن خلف ، كما كان من كبراء  
قريش فى حياة أبيه .

وكان أمر الأزام فى الجاهلية  
موكولا الى صفوان ، ونشأ فى جاه  
أبيه ومجده وشرفه وماله ، وعمل  
فى التجارة ، وبيع واثرى ، وجمع  
الذهب ، حتى صار له قنطار من

(( اى صفوان ..

فذاك أبى وأمى

هو أفضل الناس ، وأبر الناس ،  
وأحلم الناس ، وخير الناس .

ابن عمك عزه عزك ، وشرفه  
شرفك ، وملكه ملكك .. )) .

قالها عمير بن وهب ابن خلف  
القرشى الجمحى المكى لابن عمه  
صفوان بن أمية بن خلف ، فى تأثر  
شديد ، وضراعة ظاهرة ،  
واستعطاف كبير .

ويرد عليه صفوان فى غضب  
واستكبار ، وعزم وتصميم ، دعى  
وطريقى ، لن أعود أبدا .

وكان صفوان قد هم بركوب  
السفينة من جدة ، لتقله الى اليمن ،  
يعيش فيها ، بعيدا عن مكة ، وعما  
آل اليه أمر مكة يومئذ .

# عزّه عزّاءُ وشرفه شرفك وملكه ملكك

للكنور محمد عبد المنعم خفاجي

وسواهم يمثلون جبهة المعارضة للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب وهو عبد الله ابن أبي أمية المخزومي ، وحتى ابن عمه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وكان أخا للرسول من الرضاعة ، أرضعتها معا حليمة ، حتى هذان مع قرابتهما لرسول الله كانا من أشد الناس عداوة لرسول الله ، ولما جاء به من الحق والدين والشريعة ، فقال له ابن عمته عبد الله بن أبي أمية : والله لا أومن بك أبدا ، حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك .. وكذلك كان الأخنس الثقفي ، وأبى بن خلف الجهمي ، والعاص بن وائل السهمي ، وغيرهم ..

الذهب ، كما كان لأبيه قنطار من الذهب ، وبذلك جمع السؤدد من أطرافه ، ونال المجد بكلتا يديه .

وتزوج صفوان في حياة أبيه من أكرم بيوت العرب ، تزوج برزة بنت أبي مسعود الثقفي ، وفاخنة بنت الوليد بن المغيرة .

وكان أبوه (( أمية )) من أشراف قريش وسادتها واليه الرأي في الكثير من الأمور والمشكلات .

وجاء الإسلام ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإيمان به ، وصدت قريش عند ذلك صدودا عجيبا ، وقاومت رسول الله والمؤمنين به مقاومة ليس لها مثل في التاريخ : وكان عتبة ، وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام . والوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ،

نفسه ، وقال يفتنم الفرصة حتى لا  
تفلت من يديه : يا أبا وهب ، يا أخى ،  
دينك على أنا ، أقضيه عنك ، وعيالك  
مع عيالى ، أواسيهم ما داموا على  
ظهر الأرض فقال أبو وهب عمير :  
اكنم عنى شأنى وشأنك هذا ، لا تحدث  
به أحدا حتى لا يعرف أحد ما أنتويه  
ورد صفوان فى حماس شديد :  
أفعل ذلك .

وذهب عمير الى منزله ، فأخذ  
سيفه ، فشحذته وسممه ، وركب  
راحلته ، وخرج من مكة يريد المدينة ،  
والناس يسألونه الى أين تريد يا أبا  
وهب ؟ فيقول : أريد المدينة لفداء  
ابنى الأسير .

وقدم عمير المدينة فبينما عمر فى  
فى جماعة من المسلمين يذكرون ما  
أكرمهم الله به ، اذ نظر فرأى عميرا  
قد أناخ راحلته على باب مسجد رسول  
الله ، متوشحا بالسيف ، ففسال لمن  
حوله : هذا الشيطان عدو الله عمير  
ابن وهب ما جاء الا لشر ، وهو الذى  
حرش بيننا ، وكان عينا علينا لقريش  
فى بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله  
وهو يقول : يا نبى الله ، هذا عدو  
الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا  
سيفه .

قال : فأدخله على ، فأقبل عمر  
حتى أخذ بحمالة سيفه ، فلبيه بها ،  
وقال لرجال من الانصار : أدخلوا  
فاجلسوا عند رسول الله ، واحذروا  
عليه من هذا الخبيث ، فانه غير  
مأمون . ودخل به على رسول الله  
فلما رآه الرسول وعمر أخذ  
بحمالة سيفه فى عنقه ، قال : أرسله  
يا عمر ، أدن يا عمير .

فدنا عمير من رسول الله ، وجلس  
فقال له رسول الله : فما جاء بك  
يا عمير ؟ قال عمير : جئت لهذا

وكان أمية بن خلف هو الذى تولى  
تعذيب المسلمين من مثل بلال . وأميه  
ومعه الوليد بن المغيرة ، وبعض  
أشراف قريش هم الذين قالوا لرسول  
الله : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ،  
وتعبد ما نعبد . وقد حضر أمية بدرا  
هو وابنه صفوان ، فقتل أمية وقتل  
معه أبو جهل وأشراف قريش وسادتها  
وورث صفوان بعد أبيه أمية مجده  
وحسبه وشرفه ، وصار المية ما كان  
لأبيه من قبله .

واستمر صفوان فى حربه للإسلام  
ولرسول الله ، كما كان يصنع ، وكما  
كان يصنع أبوه قبله .

## - ٢ -

وبعد بدر أخذ صفوان بن أمية يكيد  
لرسول الله كل الكيد ، ويتآمر عليه  
بكل ما فى وسعه وطاقته من حيلة ،  
وهو الشقى الموتر ، قتل أبوه وأخوه  
فى بدر ، وقتل أشراف قومه—  
وسادتهم .

وجلس صفوان فى الحجر فى يوم  
من الأيام وحوله ابن عمه عمير بن  
وهب الجمحى ، وكان شيطانا من  
شياطين قريش ، ومن كان يؤذى  
رسول الله وأصحابه ، ويلقون منه  
عناء شديدا وهم بمكة ، وكان ابنه  
وهب قد أسر فى بدر .

وأخذ عمير يذكر مصاب قريش  
فى بدر ، ويذرف الدموع على قتلاهم ،  
فقتل له صفوان . والله ما فى العيش  
بعدهم من خير ، فرد عليه عمير .  
صدقت والله ، اما والله لولا دين  
على ليس له عندى قضاء ، وعيال  
أخشى عليهم الضياع والهوان بعدى  
لركبت الى محمد حتى أقتله ، وأشمت  
بالمسلمين فيه ، فان لى قبلهم علة ،  
ابنى وهب أسير فى أيديهم .

فقام صفوان واقفا ، فرحا جذلان  
لما سمع ، وما أكرم ما سمع على

الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه .  
قال . فما بال السيف فى عنقك ؟  
قال عمير : قبحها الله من سيوف ،  
وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال الرسول :  
أصدقنى ما الذى جئت له ؟  
قال : ما جئت إلا لذلك .

قال : بل تعدت أنت وصفوان فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين على ، وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ما تريد ، وصعق عمير لما يسمع ليس من أحد يعرف الأمر غير صفوان ، وقد أوصى صفوان بكتنانه عن كل الناس ، ان هذا إلا الوحى نزل على محمد من السماء ، واهتزت أعناق عمير ومشاعره اهتزازاً شديداً ، وقال أشهد أنك رسول الله قد كنا يا محمد نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله انى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق ، وشهد عمير شهادة التوحيد ، والحق ، فقال رسول الله : فتهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، واطلقوا له أسيره .

فصنع المسلمون كل ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عمير يا رسول الله انى كنت جاهداً فى أطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا احب أن تأذن لى حتى أقدم مكة ، فادعوهم الى الله ، والى رسوله ، والى الاسلام ، لعل الله يهديهم ، والا أذيتهم فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك فى دينهم وأذن له رسول الله .

كل ذلك وصفوان بن أمية فى مكة يصبح ويمسى وهو يقول لمن يلقاه من قومه ، أبشروا بحادثة تأتاكم قريباً فى أيام تنسيكم وقعة بسدر ويخرج صفوان الى خارج مكة كل يوم ، يسأل الركبان عن عمير بن وهب وفى أحد الأيام لقيه قادم من المدينة ، فسأله عن عمير ، فأخبره أنه أسلم ، فرجع صفوان مهموماً مغموماً ، وهو يحلف لا يكلم عميراً أبداً ولا يؤدى له منفعة أبداً .

وقدم عمير الى مكة ، فأقام يدعو الى الاسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، حتى أسلم على يديه أناس كثيرون ، وعمير زوج عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى أروى بنت عبد المطلب .

### - ٣ -

وجاءت معركة أحد ، وقتل فيها عم صفوان ، وهو أبى بن خلف ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فازداد حنق صفوان على رسول الله وحر به وعداوته لله ولرسوله . وكان صفوان فى قلب المعركة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثناء المعركة .

اللهم العن أبى سفيان  
اللهم العن الحارث بن هشام  
اللهم العن صفوان بن أمية

### - ٤ -

وفتح رسول الله مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة ، وأذل الله الشرك والمشركين ، ونكس راية الوثنية والبهتان ، وهدم الرسول صلى الله عليه وسلم الأصنام ، وترددت فى جنبات البيت الحرام شهادة التوحيد

ولكن الفتح لم يمض دون مقاومة من قريش ، لقد أسلم أبو سفيان قبل دخول رسول الله مكة بيوم ، بعد أن رأى بعينه ما رأى ، وشاهد جيش محمد الذى لا قبل لقريش ومشركى مكة به ، ولا يستطيع أن يقاومه انسان ، وأسلم كذلك سهيل بن عمرو خطيب قريش وأحد أشرفهم وسادتهم يوم الفتح .

ولكن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وجبوعا معهم ، قاوموا جيش خالد بن الوليد ، وهو يدخل مكة من أسفلها ، فقتل من المشركين اثنا عشر رجلا ومن المسلمين رجلا .

وبدا السلام والأمان يعودان الى بلد الله الحرام ، وتردد النداء عاليا : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن .

وخطب رسول الله الناس ، فأعلن العفو العام حتى عن رؤوس الشرك والضلال ، وقال لهم : يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم ؟

قالوا : خيرا .. أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : اذهبوا فانتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

وأرسل رسول الله الى : صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وأبى سفيان : فقال عمر : لئن أمكننى الله منهم لأعرفنهم ، فقال رسول الله : مثلى ومثلكم كما قال يوسف لآخوته : (( لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم )) .

وأسلمت زوجة صفوان ، وهى فاختة بنت الوليد بن المغيرة ، وذلك يوم الفتح ، وهرب صفوان الى حيث لا يعرف مكانه انسان الا ابن عمه عمير بن وهب .

وجاء عمير الى رسول الله يقول له : يا نبى الله ان صفوان بن أمية

سعيد قومه وقد خرج هاربا منك ليركب البحر الى اليمن فرارا وذعرا ، فهلا أمته !!

وفى رواية أخرى أنه قال لرسول الله : أسألك أمانا لصفوان ، قد هرب ، وأخشى أن يهلك ، وإنك قد أمنت الأحمر والأسود ، فأمنه يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم : هو آمن وفى رواية أدرك ابن عمك فهو آمن .

قال عمير . يا رسول الله ، فأعطنى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله عامته التى دخل فيها مكة كما يروى ابن هشام : ويروى المذهبى فى (( سير أعلام النبلاء )) أن رسول الله بعث اليه ابن عمه عمير بن وهب بردائه أمانا لصفوان ودعاه الى الاسلام وأن يقدم عليه مكة .

وخرج عمير يريد جدة حيث صفوان قد هرب اليها ينتظر فيها سفينة يركبها ليذهب الى اليمن ، ويعيش هناك بعد أن هزمه الله ، وهزم الشرك والمشركين وفتح مكة على الاسلام والمسلمين .

وأدرك عمير صفوان وهو يريد أن يركب السفينة ودار بينهما هذا الحوار الغريب : يقول عمير لصفوان : يا صفوان .

فذاك أبى وأمى .

الله ، الله ، فى نفسك أن تهلكها . فهذا أمان من رسول الله قد جئتكم به ويرد عليه صفوان :

ويحك ، أغرب عنى ، فلا تكلمنى قال عمير :

أى صفوان .

فذاك أبى وأمى .

أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه ، عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه



قال : بل عارية مضمونة حتى تؤديها اليك . قال صفوان : ليس بهذا بأس . فأعطى رسول الله مائة درع بما يكتفيها من السلاح .

وخرج صفوان وهو على شركه مع رسول الله الى حنين وانتصر الاسلام في حنين انتصارا مؤزرا ، وعاد رسول الله صلوات الله عليه بالغنائم والأموال ، ومعه صفوان ، فجعل صفوان ينظر الى شعب ملأى نعما وشاء ، وأدام النظر ، ورسول الله يرمقه ، فقال له الرسول :

أبا وهب ، يعجبك هذا ؟

قال : نعم .

قال صلوات الله عليه : هو لك .

فقال صفوان : ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نفس نبى ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وكان ذلك في آخر ذى القعدة من ثمان .

ويروى عن صفوان : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فما زال يعطينى حتى أنه لأحب الخلق الى واستقرض رسول الله من صفوان في مكة خمسين ألفا ، فأقرضه إياها .

وعاش صفوان في الاسلام يشهد انتصاراته ويحضر أيامه ، ويلقى حروبه فكان في اليرموك أميرا على كتبية من كتائب جيش المسلمين .

وكان في غير اليرموك كذلك مجاهدا بطلا ، وعاش حتى توفي رسول الله الى رحمة عام ٤١ هـ . رحمه الله ..

ملكك ، ويقول صفوان دعنى وطريقى لن أعود أبدا . ويقول عمير :

عد معى الى مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ، واثنت اثنت ، ابن مكة وشريف العشيرة ، وسيد القوم ، ويقول صفوان : انى أخافه على نفسى . ويرد عمير هو أحلم من ذلك وأكرم ، وينتهى الموقف بنزول صفوان من السفينة ، ثم عودته مع عمير ابن عمه الى بلده مكة .

فلما قدم صفوان على النبى صلى الله عليه وسلم ناداه على رؤوس الناس : يا محمد ان هذا جاءنى بردائك يزعم أنك أمنتنى ، ودعوتنى الى القدوم عليك فان رضيت أمنت ودخلت فى دينك ، والا خرجت غسى مدة شهرين لا أتجاوزهما .

فيرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقار وجلال وأناة وحلم :

صدق ، أنزل أبا وهب فيقول صفوان :

لا والله حتى تبين لى فيقول رسول الله : لك أربعة أشهر .

- ٥ -

وبعد قليل يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين فى سؤال من العام الثامن للهجرة . وقبل خروجه يذكر له بعض أصحابه أن لدى صفوان أدرا وسلاحا كثيرا ، فبيعت اليه ، ويقول له وصفوان يومئذ على شركه :

يا أبا أمية ، أعزنا سلاحك هذا لنق فيه مدونا غدا فقال صفوان : أغصبا يا محمد ؟

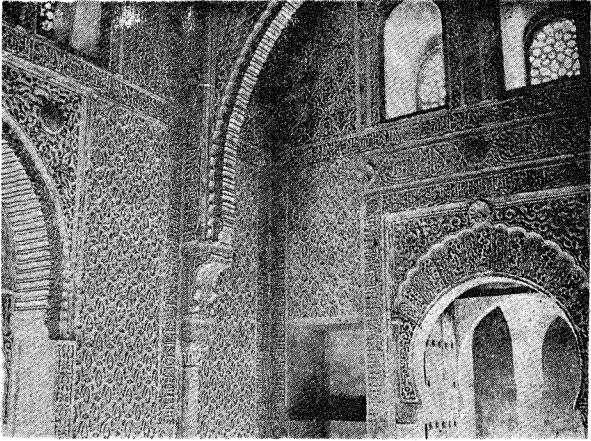
# طابع الفن الاسلامي

للاستاذ محمد المحسيني عبد العزيز

طبع الدين الاسلامي الحنيف الفنون والعمارة الاسلامية بطابعه الخاص وكان تأثيره بالغا فكانت أصول الدين وتعاليمه هي القانون الذي سار الفنان على نهجه ووفق نصوصه لم يحد عنها ولهذا ابتعد عن التماثيل وتصوير الاشياء التي تعتبر في نظره تقليدا للباري سبحانه الذي هو خالق كل شيء ، كما امتنع الفنان عن الرسوم الادمية والحيوانية احتراماً لأوامر الدين ونظمه واعتمد في الفن الزخرفي على رسم أوراق الاشجار والازهار وما تفرع منها وعلى اجزائها الى جانب الزخارف كأغصان الاشجار والازهار والوريقات ، فسرت في أعطافها مرونة تكاد تبعث فيها الحيوية ، وتجلت عبقرية الفنان في التأليف بين الالوان المستخدمة في الطلاء بطريقة تبهج النظر وتريح العين .

## الفن المعماري .

ابتكر المعمار المسلم نظام المسجد على نسق مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة الذي شيد على مساحة مربعة الشكل محاط بجدران من الآجر والحجر وكان سقفه قد غطي بطبقة من الطين وجاء تصميم المسجد بسيطا كبساطة الدين وابتكارا اسلاميا خالصا اذ وضعت



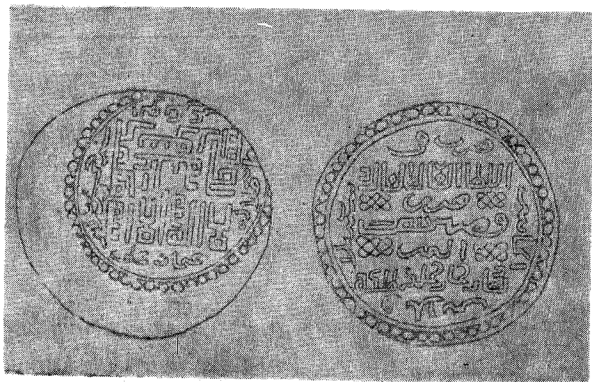
النقوش الرائعة داخل المحراب تحف بها الزخارف النباتية المورقة وتظهر الآيات القرآنية في مناطق الإطار .

سقيفة للمسجد جهة الشمال حيث كانت القبلة الاولى للمسلمين نحو بيت القدس فلما أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام ان يتجه في صلاته الى مكة بالجنوب اقيمت سقيفة في هذه الناحية وأصبح للمسجد ظلتان اولاهما ناحية الشمال والثانية ناحية الجنوب ودفعت سنة التطور ان يصل المعمار بين السقيفتين بظلتين أحدهما شرقا والثانية غربا وعلى هذه الصورة جاء المسجد الاسلامي الاول ايوان في كل جانب يحف بصحن في الوسط مكشوف وعلى مثال مسجد المدينة اقتبست المساجد في كل الامصار الاسلامية وتطور الامر مع رخاء الامبراطورية الاموية فاستبدلت الاعمدة بدلا من جذوع النخل وزخرفت الاعمدة بالتيجان والجص كما زينت بطون العقود بكتابات من القرآن الكريم واضيفت المآذن والقباب في العصور التالية وعبد المعمار الى الاهتمام بالمسجد وتزيينه فصار ملتقى للناس من كل صوب وحتى يليق بما وصلت اليه الدولة من قوة ولا يجوز ان يقل في رونقه وعظمته عن المعابد غير الاسلامية في الطراز الزخرفي . وكان الخط العربي العنصر الاول في الزخرفة فقد ساعد الخطاط لرونقه وقابليته للمد والانتشاء والاستطالة والاستدارة التي تكسبه درجة كبيرة من الابداع والاتقان ، وقد استند الخط الى اصول هندسية وقواعد رياضية أصلها الالف وهي خط مستقيم يعتبر قطر الدائرة

وبقية الحروف اجزاء منها تحيط بها ولو اعيدت جميع الحروف الى التسطيح وازيل تقوسها لكانت من الالف بنسبة معينة ثابتة ولم يقتصر استخدام الخط العربى على كتابة المصاحف والاحاديث النبوية واوامر الخلفاء بل زينت به المساجد والمباني ، وانتقل الى العمائر الاوروبية كأستلوب زخرفى وقد وضعت المدرستان الشامية والعراقية النظم والمقاييس للخط العربى وعهدت المدرسة المصرية الى تجويده ، وابتكرت منه خط الطومار بأنواعه النسخ والمثلث ، وابتدعت المدرسة العثمانية بعد استقدامها لأمهر الخطاطين العرب أنماطا جديدة منها خط الرقعة والديوانى والاجازة والهمايونى واستحدثت فى الدولة التيمورية التى حكمت شرق الدولة الاسلامية خط التعليق الذى تجلت فيه الحياة والحركة وابتدعت خط النستعليق الذى جمع بين النسخ والتعليق وتميز بالخفة والسلاسة والمطاوعة .

### الزخارف النباتية :

يعمد الفنان المسلم الى استخدام الزخارف النباتية والبعد بها عن الطبيعة وعمد الى تطويرها ، فاستطالت الاغصان وتحورت الاوراق بطريقة انفرد بها الفنان وتميز بها ، واصبحت سمة للفن الاسلامى على انه جمع بين



عملة تيمورية



169

الخط والزخرفة فأخذ يجمع في الحروف ويعدل في أشكالها ويصعد ببعض أجزائها ويحذف منها ما يتنافى مع أصول الزخرفة من تناسق أو تقابل أو تناسب ويملا ما بين سيقان الحروف بوحدات زخرفية كما ينهى الحروف بوريقات نباتية زادت الحروف بهاء وجمالا وهكذا بدت عظمة الفن الاسلامي في الخط الكوفي المشجر ( المزهري ) والارابيسك والزخارف النباتية التي امتلأت بها تيجان الاعمدة في المساجد والقصور .

وأبدع الفنان المسلم في استخدام العناصر الهندسية كالذوائر المتشابهة والأشكال المتعددة الاضلاع كالمثلث والمعين وأهتم بالجمع بين الرسوم الهندسية والنباتية والخط الكوفي في نظام وتناسق بديع يدل على ذوق وأحاساس مرهف .

### الجص :

وتميز الفن الاسلامي باستخدام الجص على اوسع نطاق في تزيين عقود المبانى والجدران على هيئة طراز يجرى عليها بالزخارف الهندسية أو النباتية أو بالكوفي أو على هيئة مناطق مستديرة أو معينية بداخلها زخارف نباتية رائعة ، وقد ظهر استخدام الجص في تسافرا التي شيدها الخليفة المعتمد العباسي عام ٢٢١ هـ ثم انتقل الى مسجد ابن

طولون بالقطائع ، ثم تطور فن الزخرفة بالجص فبلغ درجة عالية من الاتقان فى العصر المملوكى فاستعمل فى سد النوافذ كما ملئ الفراغ والثقوب بالزجاج الملون .

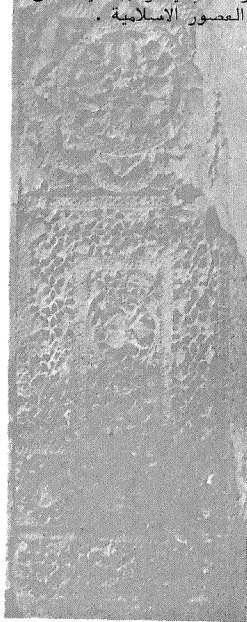
وانفرد الفنان الاندلسى خاصة بتغطية المساحات كلها بالرسوم واستخدام الخط الكوفى ذى الحروف المتشابكة . ويظهر هذا فى قصور غرناطة الى جانب الاسراف فى استعمال المقرنصات ( الدلايات ) بصورة لم يسبق لها مثيل ، ومن أجمل القباب قبة قلاوون بالقاهرة التى ملئت فتحات النوافذ فيها بالبرونز والجص وتتجلى فيها براعة الفنان وحذقه فى أبهى صورة ويخال من يشاهدها أنها قطعة نسيج تفنن النسيج فى تطويرها كما طعمها بقطع من الفسيفساء التى تبدو كعش النحل أو الرواسب الكلسية التى تكونها الطبيعة فى الجبال بسقوط نقط من الماء من أعلى الكهوف فتنتدلى فى صورة بديعة وفى الحفر على الخشب اهتدى الصانع الى طريقة التعشيق والتجميع والخرط ويعتمد على تزيين الاسطح المراد تزيينها بحشوات من الخشب تقطع على أشكال هندسية منتظمة من مثلثات أو مربعات أو مخمسات أو مسدسات أو مثلنات وتثبت بطريقة التعشيق .

١ - استغل الخطاط الكوفى عنصرا زخريا فخرجت من اطرافه سيقان نباتية ووريات ذات فصوص وتجمع الحشوات معا فوق السطح ليكون منها زخارف هندسية أو نباتية ، وقد استخدم اسلوب الخرط فى عمل المشربيات فى المساكن فى العصر المملوكى لیسمح بدخول الهواء والضوء فى فصل الصيف ويمكن السيدات من رؤية ومشاهدة من فى الخارج ولا يراها المارة ، وقد تطورت صناعة الحفر على الخشب أيام الطولونيين والفاطميين لكنها وصلت الى الذروة فى الاتقان فى العصر المملوكى وفى المنح، الاسلامى بالقاهرة نماذج لهذا النوع كتابوت الامام الشافعى الذى عنى الصانع بزخرفته وتنميته وهو يزدان بأشكال نجمية غاية فى الدقة والجمال وتزيينه كتابات كوفية ونسخية رائعة وتتألف جوانبه وغطاؤه من حشوات صغيرة منقوشة بزخارف نباتية بديعة .

### الصناعات الخزفية والزجاجية .

وكان أثر الدين السمع واضحا فى صناعة الخزف والوانى الزجاجية مما دفع الصانع المسلم للنهوض بهذه الصناعة وابتكار انواع جديدة من الخزف ذى بريق معدنى يضاهاى الوانى الذهبية التى كره المسلمون استخدامها فظهر نوع من الخزف ذى البريق المعدنى جاء بتوجيه الدين ووحىه فأمن الصانع فى انتاج خزف له جمال الذهب وبريقه ، وذلك بتغطية الخزف بطبقة شفافة من الميناء القصديرية ترسم عليها الزخارف بأكاسيد معدنية بعد حرقها وأنداك تتحول الأكاسيد باتحادها مع الدخان الى طبقة

معدنية دقيقة ، وهكذا ابتدع الصانع المسلم طلاء مشتقا من اكسيد الفضة عرف بالبريق المعدنى كما اكتشفوا فى صناعة الزجاج طريقة التذهيب بوضع الزخارف على الاناء بالريشة عند رسم الخطوط الخارجية وبالفريشة فى المساحات الكبيرة ، وبعد حرق الاناء للمرة الاولى يحدد موضع الرسم باللون الاحمر ثم يطلى بالبيضاء التى تعتمد على الاكاسيد المعدنية كما ابتكروا مزج ذرات الذهب بالزئبق وتوضع الاوانى بالافران فيحترق الزئبق فيبقى الذهب عالقا فى صورة رائعة وهكذا استطاع الفنان والمعمار المسلم أن يظهرنا نبوغهما وتفوقهما فى رسوم معبرة تتمشى مع تعاليم الدين وتقاليد الاسلام وأصبح الدين مصدر الإلهام والوحى للفنان لا يحيد عنه فاعتمد فى رسومه على الزخارف النباتية والهندسية لعمق العقيدة الاسلامية فى الفنان والمعمار عبر العصور الاسلامية .

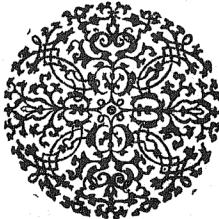


زخارف من الجص المفرغ فى قعر الطوبة .

وفي القرن الثامن عشر أى بعد حوالى قرن ردد « جان جاك روسو »  
— الذى يعتبر بحق أبا الديمقراطية الحديثة فى أوروبا — آراء « هوبز »  
ولكن بصورة مختلفة ، فإذا كان الفكر الإنجليزى « هوبز » يرى أن الجماعة  
ليست من فطرة الإنسان وإنما اضطر إليها بحكم حاجته الى الاستقرار  
وتبادل المنافع ، وأن حالة الإنسانية الأولى كانت فى شقاء دائم ، وأن  
الإنسان كان يعيش فى جو ملء بالصراع والنزاع وعدم الاستقرار ...  
فإن « روسو » كان ينادى بالرجوع الى عهد الفطرة ، وإلى حياة الطبيعة ،  
لأنه عهد تساوى فيه الناس جميعا ، ولم يعيش أحدهم حالة على الآخر ،  
ولم يكسب بعضهم المال على حساب الآخرين ، وإنما عاش الناس جميعا  
فى أحضان الطبيعة ، وتمتعوا بخيراتها على قدم المساواة .

ومهما اختلفت وجهة النظر الأوروبية فى حالة الإنسان قبل أن يهتدى  
الى أشكال الحكومات وهل كانت الإنسانية شقية أو سعيدة ، فإن نشأة  
الحكومات ، أو العقود السياسية فى الفكر الأوروبى إنما نشأت نتيجة  
للوهم والافتراض والتخيل . أما الفكر السياسى الإسلامى ، فقد نشأ  
نتيجة للواقع ، وتطور الأحداث التاريخية ، كما حدث فى اجتماع السقيفة  
فالعقد السياسى الإسلامى نشأ فى وضوح النهار ، نتيجة لهذه الإرادات  
الإنسانية الحرة فهو عقد حقيقى وليس عقدا خياليا كهذا الذى تصوره  
« هوبز وروسو » بعد الإسلام بقرون طويلة .

فما أحوجنا نحن المسلمين ، أن نفكر فى تراثنا الفكرى الإسلامى ،  
ونبعثه فى ثوب جديد ليقف شامخا أمام الفكر الأوروبى الذى يغزونا فى عقر  
دارنا ، ويحاول أن يوهننا بأن أصالته لم تسبق ، مع أن الفكر الإسلامى فى  
الحقيقة أسبق منه بحوالى عشرة قرون فى فكرة العقد السياسى مع الفارق  
الكبير فى الأساس الذى قامت عليه فكرة العقد السياسى فى الإسلام ،  
والعقد السياسى فى الفكر الأوروبى كما كشف عن ذلك هذا المقال .





# الفتاوى

## معاملة الأولاد

رجل يملك ثروة من عقار ومال ، وعنده زوجة ، وأولاد ، منهم ذكور ، ومنهم إناث ، وقد زوج بعض بناته ، وعلم بعض أولاده الذكور والمرجو الإجابة على الأسئلة التالية :

- ١ — هل يجوز له أن يحرم بعض أولاده العاقين ؟
- ٢ — هل يجوز له أن يحرم الولد الذى عليه وأصبح له وظيفة ؟
- ٣ — هل يجوز له أن يميز بعض أولاده ؟
- ٤ — هل يجوز له أن يخص بشيء من المال الصغير من أولاده ومن لم يكمل تعليمه منهم وكذلك البنات اللاتي لم يتزوجن ؟

## الإجابة :

يجب على الوالد أن يسوى بين أولاده فى العطفية والهدايا والانفاق قدر استطاعته ، ولا يجوز له أن يفضل بعضهم على بعض الآخر ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سووا بين أولادكم ولو بشق تمرة » ، وأمر عليه الصلاة والسلام ألا يفعل الإنسان شيئاً يحمل أولاده على عقه ، فقال : « لعن الله ما استعق ولده » .

وإذا انفق الوالد على أحد أولاده نفقة ذات قيمة بأن زوجه ودفع له مهر الزوجة ، أو انفق على تعليمه حتى أوصله إلى وظيفة ذات غناء أو جهز إحدى بناته كان عليه أن يعوض سائر ولده الآخرين بمقدار ما أنفق على ولده الأول . ويجوز تفضيل بعض الأولاد على بعض لبرر شرعى ، ومن المبررات الشرعية المعاهات المانعة من الكسب كالعقم والشلل ، وكذلك المعجز عن التكسب .

## الحلف بالنبى

## السؤال :

بعض المسلمين يحلف بالنبى ويقول ( وحياة النبى ) فهل هذا يمين له كفارة عند الحنث ، وما هى الكفارة ؟

## الإجابة :

قال صلى الله عليه وسلم : « من كان حائفاً فليحلف بالله أو ليصمت » ومعنى

هذا أن الحلف بغير الله لا يجوز ، ولا يلزم كفارة لأنه ليس يمينا شرعية .

### ليلة النصف من شعبان

#### الـسـؤال :

هل ورد في فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث صحيحة ، وهل يسن فيها صلوات خاصة ودعاء مخصوص ، ثم هل هي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم .

#### الإجابة :

أقوال أكثر المفسرين على أن الآية الكريمة « انا أنزلناه في ليلة مباركة » تعنى ليلة القدر ، وأنها ليست ليلة النصف من شعبان .

والدعاء المعروف بدعاء ليلة النصف ليس له مستند صحيح في السنة ، والصلوات المخصوصة التي يصلّيها بعض الناس في ليلة النصف ليست من عمل السلف الصالح وحديث « إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا ، فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتل فأعافيه ، ألا سائل فأعطيه ، ألا كذا إلا كذا .. ألا كذا حتى يطلع الفجر » والحديث المروى عن السيدة عائشة في فضل هذه الليلة . لا شيء من هذين الحديثين صحيح .

فليلة النصف من شعبان ليست هي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، ولم يرد في فضلها ولا في أحيائها بالصلوات حديث يعول عليه ، والدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف لا أصل له .

### الدعاء في الصلاة

هل تصح الصلاة إذا دعا المصلّي فيها بأدعية دنيوية وأخرية كان يقول : « رب اغفر لي وارحمني ونجّ فلانا ، ووفّقني في بيع السيارة » .

#### الإجابة :

مذهب المالكية أن الدعاء في الصلاة جائز بكل ما يشاء الداعي مما يجوز شرعا الدعاء به ، ولو كان الدعاء بأمر دنيوي من اللذائذ والنعيم ، وأصح مذهبي الشافعية والحنابلة كمذهب المالكية .

والحنفية لا يجيزون الدعاء في الصلاة بما يشبه كلام الناس ومعاشهم الدنيوي .

# الوعي الإسلامي

# بربر

## السيد البدوي

السيد البدوي أحد الصوفية المعروفين ، وله شهرة كبيرة في مصر وغيرها من الدول الإسلامية فيما اسمه الحقيقي .  
اسمه أحمد بن علي إبراهيم ولقبه البدوي لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو شمال افريقيا . ولد بفاس ، وحج طفلا مع أبيه ، وذهب الى العراق ثم دخل مصر واستقر بطنطا ، وبها توفي ، وله طريقة تعرف بالأحمدية وشارة أتباعه العمامة الحمراء والعلم الأحمر .

## الرتب العسكرية

في الجيوش رتب عسكرية مختلفة كل رتبة منها تدل على درجة حاملها ومهمته ، فمثل عرفت الجيوش الإسلامية في العصور الأولى هذه الرتب .  
أول نظام وضع لتحديد مراتب الجيش الإسلامي كان في أيام عمر بن الخطاب حين أنشأ الديوان لضبط عطاء الجيش ، فجعل الناس أعشارا على كل عشرة عريف ، ولما اختطت الكوفة والبصرة غيرت العرفاء والأعشاء ، وجعلت أسبعا وفي أيام الخليفة الأمين جعل على كل عشرة عريفا ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيبا ، وعلى كل عشرة نقيبائا ، وعلى كل عشرة قائدا ، وعلى كل عشرة قواد أميرا .  
ولم تكن الرتب العسكرية ثابتة أو متشابهة في جميع الدول الإسلامية ، ففي مصر أيام السلاطين المماليك قسمت كالآتي :

**الطبقة الأولى :** أمراء المثين ، ويقال لهم : مقدمو الألوف ، وكانت عدة كل منهم مائة فارس ، وله التقدمة على ألف فارس .

**الطبقة الثانية :** الأمراء ، وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارسا يكونون في خدمته .

**الطبقة الثالثة :** أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فرسان يكونون في خدمته .

**الطبقة الرابعة :** أمراء الخمسات .

ولما استحدثت النظم العسكرية في الدولة العثمانية إبان القرن التاسع عشر أخذت بها بعض الدول التي كانت خاضعة لها ، واستخدمت في الدول العثمانية الرتب التالية : (١) الملازم الأول والثاني (٢) البوزباشي ، وهو الرئيس اليوم ، (٣) الصاغ وهو الرائد (٤) البكباشي وهو المقدم الآن (٥) القائمقام وهو العقيد (٦) أميرالاي وهو العميد (٧) اللواء وهو الزعيم في بعض البلدان العربية ، (٨) الفريق أو قائد الفرقة (٩) المشير هو أكبر الرتب العسكرية .

## بدوح

### السؤال :

كثير من اصحاب الرسائل يكتبون على ظروفها كلمة بدوح فما اصل هذه الكلمة ، وما السر فى كتابتها؟

### الاجابة :

ان التجار وارباب الرسائل والأموال فى بلاد العرب كانوا يكتبون تلك الكلمة على بضاعتهم ورسائلهم تحسبنا لها من الضياع اذ يعتقدون أن تاجرا من أهل الحجاز كان يسمى بدوحا ، وكان التجار من أهل عصره اذا وجهوا تجارتهم الى بعض الجهات نهبا للصوص الا ذلك التاجر فان بضاعته ورسائله لا يتعرض لها أحد بسوء ، فتصل سالمة ، وما أن توفى هذا الرجل حتى أخذ أولئك التجار يضعون اسمه على بضاعتهم ورسائلهم ، فكانت تسلم من الأذى ، وكانوا لا يكتبونه بالحروف ، بل مما يقابلها من الأرقام ، فى حساب الجمل هكذا ( ٨٦٤٢ ) وكثير من الناس قديما كانوا يرقمونه على فصوص خواتمهم للتمين ورفع الأذى .

## تعقيب

تعقبيا على مقال ( حكمة الاسلام فى تحريم لحم الخنزير ) للزميل الدكتور أحمد شوقى الفججى بالعدد ٧٨ من السنة السابعة أود أن أضيف الآتى :

١ — أن لحم الخنزير له عدة أسماء مما يجعل كثيرا من المسلمين حسنى النية يقومون فى استعماله بدون قصد :

- |                     |            |
|---------------------|------------|
| أ — الاسم العادى له | ( يورك ) . |
| ب — الاسم الثانى    | ( باكون )  |
| ج — الاسم الثالث    | ( هام )    |

ويكثر وجود الباكون والهام فى أسواق الكويت والبلاد العربية ويخلط فى غذاء الأطفال .

٢ — لو خطرت فكرة اقامة مزارع للحم الأغنام بالذات على أى مسلم غيور ويقوم بتنفيذها فى بلد مثل بريطانيا أو فرنسا حيث تكثر المراعى غالى جانب الربح الطائل فان كثرة وجود لحم الأغنام سيحل بالتدريج مكان لحم الخنزير — حيث شاهدت الألوف من الانجليز يقبلون على أكل لحم الأغنام ولولا أنه مرتفع السعر لكان فى متناول الجميع ، فكل الشعوب الاوربية شعوب مادية بحتة ولو توفر لها ذلك لاتلعت عن أكل لحم الخنزير — وهذا طبعا اقتراح يحتاج لبضع ألوف من الدنانير لكى يبدأ .

هذا ما أردت أن أذكره والله ولى التوفيق .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

( دكتور : فاروق محمود مساهل — مجمع الجہراء — الكويت ) .

# بأقلام القراء

## حقيقة الاسلام

تحت هذا العنوان يقول الأستاذ — فكرى زكى الجزار — الاسلام روح وجسد .. فاذا ما انفصلت روحه عن جسده فلا وجود له البتة ، ولن يجدى نفعا فى دنيا الناس ... فحينئذ تتقاذفه السنة السفهاء بأنه لا صلة له بشئون الناس ونظم الحياة والمجتمع يقولون ذلك لأنهم يرونه شيئا ناقصا ... أو بمعنى آخر يرونه جسدا بلا روح ، أو روحا بلا جسد .  
ولكن ما روح الاسلام ... وما جسده ؟

ان روح الاسلام هو — التوحيد الخالص من الشوائب الذى يبعث فى نفس الانسان العزة والكرامة ويضئ فى قلبه نور الايمان الحق ، والمعرفة الصادقة .

ولن يكون التوحيد ساميا الا اذا أفردنا المكان الاول لله فى قلوبنا ، وكنا على قلب رجل واحد ، ونهجننا فى الحياة كما يخاطبنا الله بقوله جل شأنه (( وان هذه أمكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )) (( وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )) .

تلك هى حقيقة التوحيد .. وأسمى ما جاء به الاسلام ، وأجل ما يؤمن به الناس ويهتدون بنوره فى مدلهات الحياة .

أما جسد الاسلام فهو — هذه القوة الكبرى ، والسبيل الاوحد الذى يحفظ للاسلام شريعته وينفذ أحكامه بين الناس ، هذا الجسد هو الهيئة الحاكمة التى تحكم بما أنزل الله ، وتهتدى بنور الاسلام فى دياجير الحياة ، وظلمات الطغيان والفساد ... طغيان الاغنياء وفساد الفقراء .

فالغنى اذا لم يجد قوة حاكمة تردعه عن تبديد أمواله واستئثارها لذاته — دون الفقراء — طغى بهاله واستبد بجاهه ، وظلم الفقير حقه .. وتلك أهم سبل الفساد والاضطراب الاجتماعى .

والفقير اذا لم يجد من يحميه ويحفظ له حقه ، ويقوم برعاية شئونه ... فسد فى الارض وابتغى حقوقه من سبيل السرقة والنهب والافساد فى الارض وناهيك ما يحمله قلبه من حقد وضغينة لأولئك الذين نعمون بالمال ، وينفقونه فى سبيل لذاتهم الدنية ، ومآربهم الذاتية .

لذا يمزج الاسلام بين الدين والدولة — لينال كل ذى حق حقه فى الحياة — فالدين والدولة جزآن لا يفترقان ، وكما أن الدين جزء من الدولة فالحكومة جزؤه الثانى ، بل هو الجزء الاهم .. وصدق الذى يقول .. ان الله يزرع بالسلطان مالا يزرع بالقرآن .

## وحدة الأمة

وتحت هذا العنوان يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند :

ان الله عز وجل امرنا بالاعتصام بالدين والاجتماع عليه ، ونهانا عن التفرق والاختلاف ، وحثنا على الأخذ بأسباب الاجتماع والائتلاف ، وشرع لنا عبادات وأوجبها ، وجعلها من أقوى أسباب الاجتماع ، يلتقى المسلم مع أخيه المسلم ويعرفه . يعرف ما هو عليه من صحة واستقامة وما يحس به ويتألم منه فينصره أن كان مظلوماً أو ظالماً ويواسيه ان كان محتاجاً ويرشده الى الخير ويعينه عليه .

والشيطان والعياذ بالله منه حريص كل الحرص على تثبيط المسلم وصرفه عن الخير وعن كل ما ينفعه والانسان مهدد من ناحيتين ناحية التفريط والاهمال والتناقل عن أداء الواجب وناحية الإفراط والزيادة والغلو في الدين فإذا عرف الشيطان ميل العبد الى الكسل والتفريط وعدم المبالاة بالأوامر دخل من هذا الباب فاضعف عقيدته وجعله يتهاون بأوامر الله وشرعه فلا يؤدي الواجبات كاملة ولا يحافظ عليها .

واذا وجده يميل الى الغلو والزيادة والإفراط دخل من هذا الباب فلا يزال به حتى يخرج من حدود الدين ويزين له أعمالاً ليست مشروعة ولا هي من الدين فيتعبد ويتقرب بعبادات وأعمال لم تشرع ولم يأذن بها الله تعالى فتزداد أعماله عليه وتضربه حيث لم يكتف بها شرعه الله له على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلا الطرفين قبيح ، ومذموم والشيطان عدو الانسان لا يبالي بأيهما ظفر من العبد اذ غرضه اضلاله وافساد عمله .

ان المسلمين اليوم في حالة يرثى لها تفكك في المجتمع واختلاف في المشارب وجهل في الدين واعراض عنه واهمال للمصلحة العامة واقبال على المصالح الخاصة وشح في المال واسراف فيه وفساد في الاخلاق واقبال على المذات والشهوات وتقليد الكافر الأجنبي في كل ما جاءنا به ، وتخاذل .. وتباغض بين الاخوان وتقاطع في الأرحام بانتقاص عرى الأخاء بين عموم المسلمين وانصراف كل فرد الى هواه وشهوته ثم فشل وضعف زلزالاً كيـان المسلمين وذهباً بمجدهم وجعلهم في ديارهم أذلاء وفي مواطنهم غرباء وفي دينهم ضعفاء وكل فرد منهم بعيداً عن أخيه وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية فأين نحن مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ) ثم شبك أصابعه . رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

ان عصرنا الحاضر يطلب من المسلمين أن يتمسكوا بدينهم فالدين الاسلامي هو الدين لم يتغير ، وان أول شيء يجب علينا عمله هو العمل بالصالحات والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وان كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى سلاح ماض وجيش غلاب - وعدة قوية تنفعنا في البأساء والضراء وتدفع عنا كيد الأعداء الكافرين وتحترنا من ذلّة الاستعباد وتبوءنا المكانة السامية تلك هي تمسكنا بقول لا اله الا الله والعمل بمعناها والله المستعان .

# قالت صحف العالم



## عناية المغرب بحفظ القرآن

### والحديث

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الميثاق المغربية تقول :

نشرت الصحف أخيرا اعلانا عن مباراة جديدة لحفظ الاحاديث النبوية الشريفة تشرف عليها وتنظمها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، والفكرة في حد ذاتها فكرة طيبة وصائبة وخطوة مباركة موفقة تهدف أولا وقبل كل شيء الى احياء احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ودفع الهمم لحفظها عن طريق التشجيعات الادبية والجوائز النقدية الهامة بعد ما أصبح حفاظ الحديث اقلية قليلة اعز من بيض الانوق كما يقال .

ولعلنا بهذا العمل نريد ان نتلافى بعض النقص الذي احسنا به وهو ضياع الحديث من صدورنا بعد ما كان المغاربة مضرب المثل في حفظ الاحاديث بمئنتها وسندها وسبب ورودها ويوم أسست دار الحديث الحسنية تفاعلا وتبادر الى ذهننا ان هذه الدار ستخرج مجموعة من الحفاظ يباهي بهم المغرب الاقطار العربية والاسلامية بالاضافة الى تبحرهم وتضلعهم في علوم التفسير والحديث ، واذا كنا نبارك هذه المبادرة الطيبة من طرف الوزارة ، ونثنى عليها احسن الثناء فائنا نود ان تولى نفس الاهتمام الى حفاظ القرآن الكريم وتهيئ لهم جوائز هامة في كل مناسبة دينية فالمغرب كما عرف في مختلف العصور بحفظ ابناءه للاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله عرّفوا بحفظهم للقرآن واستظهارهم لصوره وآياته والالام بقواعد تجويده وطرق رسمه والاهتمام بعلم القراءات وعرضها وكانوا من اكبر الباحثين والمؤلفين في العلوم التي لها اتصال بالقرآن ، ولقد أسست في عهد المرينيين مدرسة السبعين بفاس لن يحفظ القرآن بالقراءات السبع والمكتبة القرآنية بالمغرب زاخرة بالمؤلفات المخطوطة والمطبوعة في هذا الموضوع ، لكن الذي نخشاه اليوم ان يضيع القرآن من الصدور كما ضاع الحديث منها ، وان يصحح الذين يحفظون القرآن كله حفظا متقنا مستوفيا لشروط التلاوة كحفاظ الحديث لا يتجاوزون اصابع اليد .

ان الحقيقة المرة التي نعلنها ونجهر بها هي ان حفظ القرآن في تناقص مستمر ، وان الجيل الصاعد لا يحفظ من القرآن قليلا ولا كثيرا ، والكتاتيب القرآنية المؤسسة حديثا لم تؤد دورها الذي أسست من أجله ، ولعلها بوضعها الحالي ان تكون عرقلة كبرى في وجه من يرغب في حفظ جزء كبير منه وخسارتنا

فى ضياع القرآن من صدورنا خسارة عظى لا تعوص ، فعلى الذين يحاولون انقاذ التراث وبعث الامجاد ان يعيدوا النظر فى وضعية القرآن ووضعية البقية الباقية من حامله وذلك بتأسيس المدارس القرآنية والعناية بها والسهر عليها وتخصيص المنح والجوائز لطلابها ، ورد الاعتبار لحفظة كتاب الله بتجسين وضعتهم وتوظيفهم واسناد المناصب الدينية المناسبة لهم على غرار ما هو موجود بالقطار الشقيقة كالجائر وليبيا .

ان الفراغ الروحى الذى نشعر به فى اعماق نفوسنا لا يأتينا من الشرق ولا من الغرب وانما يأتينا من ابتعادنا عن القرآن ولئن تقاعسنا عن وضع القرآن فى اطاره اللائق به كدستور سماوى وثانون الهى نحتكم اليه فى معاملتنا وشؤوننا فلن نتقاعس عن وضعه فى متناول أطفالنا وابنائنا ليستظهره كله أو بعضه وأخشى ما أخشى أن يصدق علينا قوله تعالى (( ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى )) .

### الاسلام والحضارة

**نشرت مجلة الحوادث البيروتية حديثا مع العقيد معبر القذافي جاء فيه :**  
**البعض يتساءل هل لدى الاسلام ، ما يقدمه للحضارة الانسانية فى ازمتهما الحالية .. ؟**

وبكل الحماسة المكنة لرئيس دولة اجاب :  
— مؤكد .. ان الحضارة العالمية أصبحت كالانسان الآلى .. كتلة من الصلب ، ولكن بلا روح ، بلا قيم .. والاسلام يستطيع أن يمنحها ما هى بحاجة اليه .. شرط أن يرتفع الانسان الى مستوى الاسلام . المشكلة ليست فى تخلف الاسلام عن احتياجات العصر ، بل فى تخلف الانسان المعاصر عن مستوى الاسلام ، مستوى فهم الاسلام .

### **تؤكدون اذن على دور العقيدة فى بناء الدولة العصرية ؟**

— مؤكد .. لا وجود حقيقيا لاي دولة أو حركة قومية بلا عقيدة ، العالم كله يبحث عن نفمة روحية تبعث الحياة فى الهيكل الآلى الميت الذى يوشك أن يتحول اليه البشرية .

ومهما وصل الانسان من تقدم ، وحلق فى الفضاء فلا بد من أن يعود الى الله ، اننى على ثقة من ذلك ، وقد أبرقت بهذا المعنى الى الاتحاد السوفياتى معزيا بوفاة رواد الفضاء . ولكنهم لم يذيعوا البرقية !





## اعداد الاستاذ : عبد المعطي بيومي

**الكويت :** يدرس مجلس الوزراء موضوع تقديم الدعم المالى لمشروع اقامة مدرسة لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الاسلامى لابناء الجاليات الاسلامية فى واشنطن .

● عاد معالى الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من زيارته الرسمية للاتحاد السوفيتى حيث تفقد خلالها احوال المسلمين هناك .

● احتفلت الوزارة بليلة الاسراء والمعراج فى مسجد السوق الكبير والقى معالى الوزير كلمة مناسبة فى الحفل .

● ابدت الوزارة اهتمامها بالمعهد العالى للدراسات الدينية الذى افتتح فى طشقند وستمده بالكتب الاسلامية .

● قامت الوزارة بتوزيع الجزء الثانى من كتاب (( المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية )) على الهيئات والمهتمين بالثقافة الاسلامية .

● شاركت الوزارة عن طريق المحاضرات وخطب الجمعة فى الاحتفال باليوم العالى لحو الامية .

● زار البلاد وفد من المركز الاسلامى الاسبانى للتباحث فى امور ثقافية .

● قررت الوزارة تزويد ( ١٠٠ ) مسجد بأجهزة تكييف الهواء .

● تبدأ الدراسة فى دار القرآن الكريم فى الشهر القادم .

● تستضيف الوزارة عددا من كبار علماء المسلمين والقراء لاحياء الموسم الثقافى فى شهر رمضان القادم .

**القاهرة :** وافق الشعب العربى فى مصر وسوريا وليبيا على اتحاد الاقطار الثلاثة فى دولة ( اتحاد الجمهوريات العربية ) .

● ستقوم بعثة من جمعية الشبان المسلمين برحلة الى بعض الدول الاسلامية لشرح خطة تكوين البنك الاسلامى الذى تساهم به الدول الاسلامية والجمعيات الاسلامية .

● سيزود المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الهند واليابان وأفغانستان والاردن بالمكتبات الاسلامية .

**السعودية :** تواصل السعودية ومصر مساعيها لحل النزاع بين الفدائيين والسلطات الاردنية .

● احتجت رابطة العالم الاسلامى لدى القلبيين على المذابح التى يقتل فيها المسلمون فى المدارس والمساجد والشوارع .

● تعقد الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى غرة شعبان ١٣٩١ هـ .

● قام وفد من جامعة كابول بأفغانستان بزيارة علمية الى رابطة العالم الاسلامى بكة المكرمة بهدف التبادل الثقافى الاسلامى بين الهيئتين الاسلاميتين .

● أنشأت وزارة الدفاع والطيران ادارة للشئون الدينية تشرف على التتيف الدينى لموظفى الوزارة .

**الأردن :** قامت اسرائيل بتفريغ عدة معسكرات للاجئين الفلسطينيين من قطاع غزة وطردتهم الى أماكن متفرقة من الضفة الغربية لنهر الأردن .

● وسعت اسرائيل نطاق الحفريات فى ساحة المسجد الاقصى حتى أصبحت تهدد المسجد بالانهيار .

**المراق :** أجرى مسئولون جزائريون مباحثات فى العراق بهدف أن يزيد العراق من مساهمته فى حملة التعريب فى الجزائر ويزيد عدد مدرسى العربية والدين المراقبين فى الجزائر .

**السودان :** قدم السودان حوالى (٧) آلاف جنيه استرلينى الى تشاد لمساعدتها فى تعليم اللغة العربية كما ستقدم منحة دراسية الى عشرين طالبا من تشاد .

**ليبيا :** صرح العقيد معمر القذافى بأن الاسلام رسالة حضارة كاملة لهذا العصر ولكل عصر وان مشكلة المسلمين فى الاسلام انما هى فى مستوى فهم المسلمين للاسلام .

● انشأ مجلس الثورة الليبى هيئة للدعوة الاسلامية تكون مهمتها العمل الجاد على نشر الدعوة الاسلامية وفتح لها فروعاً فى الدول الاسلامية .

**تونس :** أقامت تونس — خلال الصيف الماضى — عدة دور للحفاظ على القرآن الكريم فى مناطق العاصمة .

● أجريت فى تونس مباحثات ثقافية بينها وبين المغرب شملت مجالات الثقافة والتربية ووسائل تدميها بين البلدين .

**البحرين :** أعلنت البحرين استقلالها دولة مستقلة ويرأس الحكم فيها أمير دولة البحرين وأصبحت عضواً فى هيئة الأمم المتحدة .

**قطر :** أعلنت قطر استقلالها وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

**باكستان :** وأصلت باكستان جهودها لحل مشكلة اللاجئين من باكستان الى الهند إبان الفتنة الأخيرة بين شطرى البلاد الشرقى والغربى .

● صدر فى باكستان الكتاب الأول من ترجمة صحيح مسلم باللغة الانجليزية وقام بالترجمة السيد عبد الحميد صديقى والناشر أكاديمية أهل الحديث بلاهور .

**الفلبين :** أعلن السناتور الفلبينى المسلم مامنتال تابانو — يشغل أعلى منصب يشغله مسلم — أن المسلمين فى الفلبين لم تعد لهم أراض يعيشتون عليها وسيضطرون لشن حرب مقدسة دفاعاً عن انفسهم .

**ماليزيا :** أعلن تنكو عبد الرحمن أنه سيتقدم بمقترحات عملية لحل مشكلة اللاجئين بين الهند وباكستان .

### أخبار متفرقة

**جنوب أفريقيا :** تقوم منظمة الجهاد الاسلامية بجمع التبرعات لانشاء مركز اسلامى فى مدينة مانيزج حيث يبلغ عدد المسلمين فيها ( ٦٠٠٠ ) مسلم ليس لهم أى مؤسسة تعنى بشئونهم .

**اسبانيا :** يعقد فى مستهل شعبان مؤتمر ثقافى اسلامى فى مدريد يشترك فيه ( ٢٤ ) دولة اسلامية .

## « الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتناديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلم الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا راسا مع متمهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتمهدين

**القاهرة :** شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

**جدة :** مكتبة مكة — السيد عوض با عامر — ص.ب : ٤٤٧ .

**الرياض :** مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

**الطائف :** مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

**مكة المكرمة :** مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

**المدينة المنورة :** مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين .

**عدن :** وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

**المكلا :** مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

**مسقط :** المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

**صنعاء :** مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

**دمشق :** الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

**الخرطوم :** الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

**الابيض/السودان :** مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

**عمان :** الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب : ٨١ .

**طرابلس الغرب :** مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

**بنغازى :** مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

**تونس :** الشركة التونسية للتوزيع .

**بيروت :** شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

**دبى :** مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابودا .

**ابو ظبى :** شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب : ٨٥٧ .

**الكويت :** شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

**قطر :** مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

## اقرأ في هذا العدد

٤	لدير ادارة الدعوة والارشاد	حديث الشهر
٨	لمسلم اسلامي كبير	حدود التشريع في الاسلام
١٦	للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة
١٩	للدكتور محمد سلام مذکور	الايمان عقيدة وعمل
٢٣	للاستاذ محمد عطية الابرأش	الايمان بالله سر القوة الاسلامية
٢٩	للاستاذ محمد عبد آآرحيم السمان	الاسلام والربا
٣٥	للشيخ على الخفيف	الفكر التشريعي (٢)
٤٢	للشاعر المرحوم محمد الأسير	ملكة العجائب (قصيدة)
٤٤	للدكتور وجية الزحيلي	ظاهرة المديح
٥١	للدكتور محمد تقى الدين الهلالي	اهل الحديث
٥٨		مائدة القارئ
٦٠	للاستاذ محمد على حيدر	أصالة الفكر الاسلامي
٦٧	للاستاذ محمد الدسوقي	الاسلام والمسلمون في المغرب العربي
٧٤	للشيخ عبد العزيز بن عبد الله الباز	الدعوة الى الله
٧٦	للاستاذ عبد الله سعد الرويشد	الشيخ محمد بن عبد الوهاب
٨٤		مذبة المسلمين في الفلبين
٩٢	للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي	ابن عمك عزه عزك
٩٨	للاستاذ محمد الحسيني عبد العزيز	طابع الفن الاسلامي
١٠٥	التحرير	الفتاوى
١٠٧	التحرير	البريد
١٠٩	التحرير	باقلام القراء
١١١	التحرير	قالت الصحف
١١٣	اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومي	الاخبار